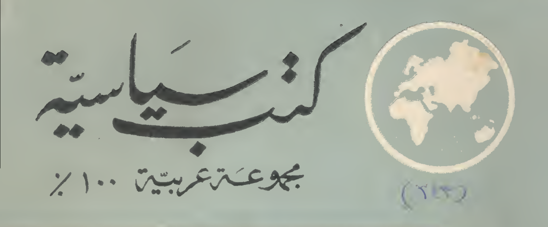
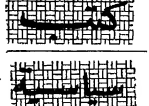


إيران وحتمية التاريخ

تأليف : جاد طه



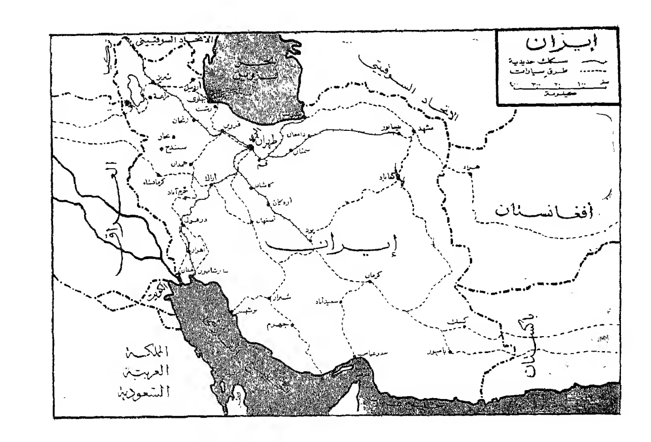




إيران وحتمية التاريخ

تأليف : جاد طه





إيران
سكك حديدية
طرق سيارات
كيلومتر
الاتحاد السوفييتي
العراق
أفغانستان
باكستان
الكويت
المملكة
العربية
السعودية
طهران
تبريز
أردبيل
رشت
زنجان
قزوين
دامغان
سمنان
قم
نيسابور
مشهد
هراة
همدان
سنندج
كرمانشاه
خرم آباد
أراك
كاشان
أردكان
أصفهان
يزد
كرمان
شيراز
سعيد آباد
بوشهر
جهرم
بندر عباس
عبادان
أهواز
دزفول



مقدمة

لقد كانت ايران تسمى ((فارس)) قبل عام ١٩٣٥ ، الا اننى فى هذا الكتاب ساقتصر على كلمة ايران منعا للخلط بين الكلمتين . وقد حاولت فى هذا الكتاب أن القى بعض الاضــواء على ايران ، البلد الاســلامى العريق ، ففىالفصل الاول تكلمت عنالمعالم الجغرافية والسكان ، وبينت كيف ان أرضها الجبلية الوعرة قد خططت الى حد ما بعض فصول تاريخها القديم ، كما تكلمت فى هذا الباب عن سكان ايران وأصلهم وكيف امتصتهم الهضبة الايرانية . وفىالفصل الثانى تناولت ايران عبر عصــور التــاريخ المختلفة ، ويتفق معظم المؤرخين علىأن الفتح العربى هو أهم فترة فىتاريخها على الاطلاق ، لأن الدين الاســلامى الذى صبغ ايران بالصبغة الاســلامية ليس دينا فحســب ، بل هو دين وثقافة وحضــارة وهو تشريع ونظام للحــكم . وفى الفصل الثالث بينتكيفبدا التنافس الدولى علىايران ، فهى تشغل حيزا هاما فى الصراع العالمى بين القوى الكبرى ، فهى الحاجز الطبيعى بين روسيا وباقى بقاع العــالم الخارجى ، وهى تقع على اهم طرق الاقتراب الرئيسية لبريطانيا الى الهند والشرق الاقصى ، ولذلك ظل النزاع محتدما طوال العصر الحديث بين روســيا وبريطانيا على امتلاكها والفوز بهــا وخصوصا بعد اكتشاف بترولها الوفير . وفى هذه الأثناء بدات تظهر

الروح القومية الحديثة فى ايران ، وكان لزيارة السيد جمال الدين الافغانى أثر كبير فى نماء هـذه الروح . وفى الفصل الرابع تحدثت عن اثر الحرب العالمية الاولى على ايران ، وكيف ان الشاه حين ذاك اعلن حياد بلاده ، الا أن الدول المتحاربة لم تحترم هذا الحياد ، وهكذا اصطلت ايران بنيران حرب لم يكن لها دخل فى اثارتها . وفى الفصل الخامس صورت شخصية رضا شاه بهلوى الذى قام بانقلابه العسكرى الناجح فى سنة ١٩٢٦ ، وكانت شخصية هذا الرجل تدعو للدهشة حقا ، فبينما كان يتصف بالوطنية وبكره الاجانب وباصلاحاته الكثيرة ، فانه كان ينغمس فى جمع المال لنفسه ولأفراد أسرته .كما اتصف بحكمه المطلق الشديد الوطأة على الشعب ، وانتهى حكم هذا الشاه بأن خلع عن العرش على أيدى البريطانيين وحلفائهم لعدم وقوفه الى جانبهم فى أثناء الحرب العالمية الثانية . وفى الفصل السادس تحدثت عن حتمية التاريخ ، فايران تسير بخطى واسعة فى طريق الثورة ، والشاه محمد ابن رضا شاه بهلوى هو الذى يعد النفوس لهذه الثورة ، فهو يشايع الاجانب على مصلحة أهل البلاد الوطنيين ، وهو ينـاوىء الدكتور مصدق بطل تأميم البترول الايرانى ، وهو يضع الاحرار فى السجون بل يحول ايران الى سجن كبير سجن فيه الشعب كله . وفى الفصل السابع وضحت كيف تمادى فى غيه فاعترف باسرائيل — دولة الاجانب والعصابات التى اغتصبت فلسطين العربية ، متناسيا الصلات الوثيقة بين العرب والايرانيين منذ صدر الاسلام الاول .

وفى الفصل الأخير تساءلت : ماذا سيكون مصير ايران ؟ وهنا عرضت للثورات التى حدثت فى الايام الأولى من شهر يونيو سنة ١٩٦٣ والتى راح ضحيتها المئات من الارواح وهى تطالب بسقوط الديكتاتور وبسقوط اسرائيل ... ولا ريب ان الشعب الايرانى قد تاثر تاثرا عميقا بالاتجاهات الحديثة لسائر شعوب العالم ، اى بانتشار مبادىء الاشتراكية الديمقراطية ، ولا بد أيضا أن الشعب الايرانى قد وجد فى الايديولوجية الجديدة فى الجمهورية العربية المتحدة — التى تؤمن باذابة الفوارق بين الطبقات سلميا وفى اطار من الوحدة الوطنية — نموذجا حيا وعمليا يمكن الاقتداء به فى هذا المضمار .

والله ولى التوفيق .



الفصل الأول

المعالم الجغرافية والسكان



أن موقع ايران الجغرافى قد جعلها معبرا للمواصلات البرية بين منطقة الشرق الاقصي فى آسـيا ، ومناطق البحر المتوسـط وأوربا ، وقد حمت كهوفها قبل فجر التاريخ الصـيادين الذين كانوا قد اتجهوا منـذ أقدم العصور نحو السهول المنخفضة فى الجنوب ليستقروا فى القرى ، وغيروا مهنتهم الاصـلية بالمهن الاكـثر استقرارا كالزراعة وتربية الحيوانات الاليفة ، كما ان ايران أيضا تعترض خطوط هجرات قبائل وسط آسيا ؛ مما ادى الى استقرار كثير من هذه القبائل فيها (١) .

وقد تحملت ايران اثقال موقعها الجغرافى بما لها من قدرة على المزج والهضم ، والقدرة على امتصاص الدم الاجنبى وتطويع العوامل الاجنبية ، وكانت هـذه القدرة مستمدة من عاملين همـا : طبوغرافية الارض ، وحيوية أهل البلاد فقد استخدمت ايران كطريق رئيسي للشعوب المغيرة من آسيا الوسطى ، مارة الى الشرق عبر الصحراوات الوسـطى اما الى الهند ، واما الى العراق باتجاه الاناضـول . (٢) الا أن الاقوام التى دخلت ايران فى هجرات جرارة أو كجيوش ظافرة ، كان

---

(١) أيران ماضيها وحاضرها ـ دونالد ولبر ـ ترجمة الدكتور عبد المنعم حسنين ومراجعة الدكتور ابراهيم أمين الشواربى ـ صفحة ٩ القاهرة ـ مكتبة مصر .

(٢) Iran, Richard N. Frye P.3. London (1960)

أفرادها يخلدون الى الاستقرار فى بيئة هى خير من بيئتهم الاصلية فى السهول القاحلة الواقعة فى الشمال الشرقى أو الأدية المنخفضة فى الجنوب الغربى .

وقد جاوز مجموع الوافدين فى غضون القرون المتوالية عدد سكان الهضبة الاصليين بكثير ، ولكن المدنية الأيرانية امتصتهم جميعا ، فغدوا جزءا منهـا . ومما ساعد على هـذا التحول قوة أساليب الحضارة الايرانية وما فيها من جاذبية ومن المعروف أنه اذا ما التقت حضارتان احداهما بالأخرى ، فأن الحضارة الاقوى تجذب اليها الاخرى المتخلفة كما يجذب النور الفراش ، وقد يكون أروع مثال لهذا الامتصاص ما جرى للمغول الذين دخلوا الهضبة الايرانية برابرة يستعذبون القتل والدمار ، فصاروا بعد جيلين من المعيشة المستقرة من أشد المعجبين بجميع مظاهر الحياة الايرانية .

ومنذ أقدم العصور بسط حكام ايران نفوذهم شرقى الهضبة الايرانيةوغربيها ، وأسسوا أول امبراطورية كبيرة فىالعالم ، وظلت طرق التجارة الرئيسية بين الشرق الاقصي والغرب تمر بشمالى ايران مئات السنين . وحينما أصبح للطرق البحرية ـــ فيما بعد ـــ الاهمية التي للطرق البرية ، وجدت ايران الى جانبها طرقا بحرية تصل بين الثغور الواقعة على الخليج العربى والمراكز التجارية الرئيسية سواء الواقعةمنها داخلحدود الدولة أو وراء حدودها .

وتبلغ مساحةايران الحالية ٦٢٨٠٠٠ ميل مربع ، وهىمساحة

---

* ما زالت ايران تحتل مكانا بارزا في الحياة السياسية والحرب الباردة للمعسكرين الشرقي والغربي .

اقل كثيرا من مساحتها فى أى وقت من تاريخها ، لان حدودها فيما مضى كانت ابعد امتدادا الى الشرق من حدودها الحالية وان كانت مطابقة على وجه التقريب لحدودها الغربية فى الوقت الحاضر ، وكان التوسع صوب الشرق نتيجة لاعتدال التربة فى ذلك الاتجاه ، ونتيجة ايضا للترابط الوثيق لغويا وقوميا بين شعوب المنطقة واهل الهضبة الايرانية (١) .

ويحد ايران من الشمال بحر قزوين وجمهوريات القوقاز السوفيتية ، ومن الغرب تركيا والعراق ، ومن الشرق روسيا وافغانستان وباكستان وتطل سواحلها الجنوبية الغربية والجنوبية على الخليج العربى وخليج عمان والمحيط الهندى ، ويبلغ طولها من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى مسافة ١٤٠٠ ميل (٢) واليوم تحتل ايران حيزا هاما فى الصراع العالمى بين القوى الكبرى ، فهى الحاجز الطبيعى بين روسيا والتسرب الى بقاع العالم المختلفة ، وتقع على أهم طرق الاقتراب الرئيسية لبريطانيا الى الهند والشرق الاقصى ، ولذلك بقى النزاع محتدم الاوار طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بين روسيا وبريطانيا على امتلاكها والسيطرة عليها ولكن أهمية ايران كمعبر لنفوذ القوى الغالبة فى العالم قد بدأ يغلب عليه عامل جديد يتعلق بشدة الصراع العالمى بين كتلتى الشيوعية والرأسمالية ، فهى كجزء من قلب الارض التى تسيطر روسيا على معظم اجزائها تعتبر الحلقة المفقودة فى الاستراتيجية الروسية للتغلب على العالم والسيطرة على بقاعه المختلفة ، ولذلك بقيت

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ـ دونالد ولبر صفحة ١٠

(٢) The Middle East. A political and economic survey (R.I.I.A.) P. 199 London (1950)

ايران بعيدة عن صراع القوى الكبرى طالما كانت روسيا محتفظة بعزلتها فى فترة ما بين الحربين ، حتى اذا اخذت تظهر على مسرح السياسة الدولية وتبرز بقوتيها المادية والمذهبية من جديد برزت أهمية ايران كميدان من أهم ميادين الحرب الباردة فى الوقت الحاضر والحرب الحامية التى يمكن ان تنشب فى أية لحظة بين المعسكرين المتنافسين (١) .

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ـ حسين فوزى النجار ص ٦٥٦ القاهرة مكتبة النهضة عام ١٩٥٣

التضاريس :

وتتكون الوحدة الجغرافية — التى تكون ايران بحـــدودها السياسية الحالية اكبر جزء فيها — منهضبة تتخللها جبالعظيمة ، وتمتد هذه الهضبة من سهول البنجاب الى ســـهل العراق . ويحد الخليج العربى والمحيط الهندى الهضـــبة من الجنوب ، وتحدها من الشمال جبال القوقاز وسهول آسيا الوسطى ، وعلى كل يجب ان نستبعد هنا تلك المناطق التى تدخل ضمن حدود الاتحاد السوفييتى وأفغانستان وباكستان .

وتفصل الهضبة عن السهول سلسلتان عظيمتان من الجبال ، تمتد احداهما وهى سلسلةجبال البرز جنوب بحر قزوين حتى تصل داخل افغانســـتان ، أما السلسلة الأخرى وهى ســـلســـلة جبال زاجروس فتقع على طول حدود ايران الغربية وتستمر على طول الخليج العربى والمحيط الهندى حتى باكستان ، وتوجد أيضا جبال أصغر من هذه داخل البلاد ، ولا تغيب الجبال أبدا عن الانظار حتى فى الصحارى الوســـطى ، ونقصد بذلك صحراء دشـــت لوت ، ودشت كوير . (١) وكلمة دشت معناها الصـــحراء ولوت معناها الخالية وكوير معناها الصحراء الملحة . (٢) وتمتد دشت كوير من مســـافة ٤٠٠ ميل أى الى مقربة من كشـــمير ويعرض ٨٠ — ٥٠ ميل . أما دشت لوت فتكون متوازى اضلاع تتكون زواياه من تاباس ويزد وكرمان . (٣) وهاتان الصحراوان دشت كوير ودشت لوت

(١) Iran, Richard N. Frye P. 3, 4.

(٢) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ١٩

(٣) The Middle East (R.I.I.A.) P. 200

تؤثران فى النفس نظرا لوحشـتهما وعزلتهما ، كمـا يوجد فيهما نجوات ملحيةتذكرنا بسطح القمر حيننظر اليه من خلالتلسكوب ، ومن المؤكد انه لا يوجد فيهما حياة حيوانية أو نباتية .

وعلى العموم فان عدم وجود الاعشاب والاشجار تعد ظاهرة بارزة فى هذه الهضبة ، وربما كانت توجد فى الماضي حياة نباتية أكثر مما هى عليه الآن ، الا انه على أية حال لاتزال الجبـال والاودية كما هى ، وهى تقسم الهضبة حاليا كما كانت تقسمها فى الماضي عدة أقسام . ويمكننا أن نميز عشرة أقسام تبدأ بأذربيجان فى الشـمال الغربى ، وهى كيان جغرافى واحد إستطاع أن يباشر من وقت لآخر وجودا سياسيا مستقلا عن بقية ايران . أما قلب هذا الاقليم فهى منطقة طهران — اصفهان — حمدان التى كانت غالبا ما تقع فيها العاصمة ، والتى أصبحت مركزا للسلطة فى العصور الحديثة . وفى الجنوب يقع اقليم فارس (Fars) ، وتعتبر شيزار أهم مدنه، واذا بعدنا نحو الشرق نجد اقليم كرمان ، وتحمل أكبر مدنه الاسـم نفسه أما بام فهى ثانى مدن الاقليم ، وتفصل هذه المنطقة عن بقية ايران صحارى فى الغرب تقع بين كرمان ويزد ، وتقع فى الشرق بين بام وسيستان واذا ما اتجهنا جنوبا وشرقا نجد أرض بلوخستان القاحلة ، وهى الآن مقسمة بين ايران وباكستان . وفى الشـمال الشرقى يقع اقليم خراسان الآهل بالسكان نوعا ما وتعتبر مشهد ، اكبر مدنه وهى المركز الدينى لايران ، وتفصل خراسان عن بقية البلاد صحراوان ملحيتان واسعتان يمكن اجتيازهما حيث انه من السهل العثور على الواحات والآبار على طول طرق القوافل ، أما مراعى التركمان (الاستبس) فمع انه من الممـكن اعتبارها الجزء الشمالى من خراسان فانه من المستحسن اعتبارها امتدادا لاقليم الاستبس فى آسيا الوسطى المتد جنوبا من الاتحاد السوفييتى .

وبالاضافة الى هذا يوجد اقليم خوزستان الشـهير بالبترول

الواقع عند رأس الخليج العربى ، وهناك اقليم جيلان واقليم مازندران الواقع على بحر قزوين . (١)

وتعيش غالبية السكان على طول الخطوط التى ترسمها سلاسل الجبال الرئيسية وهى جبال زاجوربس والبرز الضخمة ، وهذه الجبال تمتد فى صفوف متوازية تضم فيما بينها أودية ضيقة طويلة محاطة فى نهاية كل منها بحواجز جبلية متقاطعة . ويبلغ متوسط اتساع الوادى حوالى ثمانية أميال عرضا ومن ٢٥ الى ٤٠ ميلا طولا .

وتقضي القبائل الرحل الصيف فى المناطق المرتفعة ، وهى المناطق التى تسودها فى الشتاء الثلوج والبرد الشديد اللذان يجعلان الحياة القروية المستقرة فيها مستحيلة ، وتتكاثر الجماعات الزراعية فى الاودية حيث تكون السهول أكثر ملاءمة للزراعة .

وقد عاش الفلاحون قرونا عدة معيشة منعزلة يسدون حاجاتهم بأنفسهم ، وقد ساعدت الحواجز التى تفصل بينهم وبين العالم الخارجى على دوامهم التاريخى ومحافظتهم على سلالاتهم البشرية واستغلالهم فى أوقات الغزو الاجنبى .

---

(١) Iran, Richard N. Frye P. 5.

الانهار :

هناك نوعان من الانهار فى ايران ، الانهار التى تصب فى البحار ، والانهار التى تصب داخل البلاد ، اما اهم الانهار التى تصب فى البحار فأهمها هى التى تصب فى بحر قزوين وهى من الغرب الى الشرق نهر أرس ونهر سفيد وجالوس وغيرها ، وهى تفيض فى فصل الربيع . وتصلح نهايات هذه الانهار لتوالد الاسماك وبخاصة الاسماك الكبيرة الموجودة فىبحر قزوين ، وهى التى يؤخذ منها الكافيار وتعد هذه الانهار مستودعات لقوى مائية كبيرة لم ينتفع بها حتى الآن . (۱) اما النهر الوحيد الصالح للملاحة فهو نهر كارون الذى يصب فى الخليج العربى ، (۲) وهو يقطع اقليم خوزستان . (۳)

أما الانهار التى تصب داخل البـلاد فأهمها زانيده رود الذى يعبر إصفهان وجاجرود وكرج وهى أهم مجارى الانهار الدائمة . وأغلب الانهار الأخرى تجرى ثم تجف فى أواسط الصيف ، وأكبر مثل للانهار التى تجرى بهذه الصورة نهر زانيدهرود الذى تغذى مياهه اصفهان وكثيرا من الاراضي الزراعية القريبة منها ، ويبلغ اتساعه عند اصفهان — فى فصل الربيع — أكثر من مائة ياردة ، ويبلغ عمقه ستة اقدام ، وليست عليه خزانات او قناطر لتنظيم صرف المياه ، ولذلك فان مياهه المتدفقة تصب فى المناطق الصحراوية ، وتغور فى الاراضي الخالية المتعطشة ، وفى أواخر الربيع تسحب

---

(۱) ايران ماضيها وحاضرها ـ دونالد فولبر صفحة ١٤ .

(۲) The Middle East (R.I.I.A.) P. 200.

(۳) Iran, Richard N. Frye P. 5.

الاراضي الزراعية الواقعة فى أعلى النهر من ناحية اصفهان مياهه الى الحقول لزراعة الأرز ، وينتج عن هذا أن يتحول النهر فى أواسط الصيف الى مجرى ضحل فى محاذاة إصفهان يكفى لحاجات المنطقة ، فى حين تظل القرى البعيدة الواقعة فى أسفل النهر محرومة فى أغلب الاوقات من أى ماء على الاطلاق .

أما بحر قزوين الذى يحد ايران من ناحية الشمال ، فهو يقع على عمق ٨٥ قدما تحت سطح البحر ، وهو ضحل نسبيا وحجمه ينكمش تدريجيا منذ عدة قرون ودرجة ملوحة مياهه أقل كثيرا من درجة ملوحة المحيطات ، وبرغم أن الاسماك كثيرة فيه فان شواطئه لا تكون مرافىء طبيعية حسنة كما أن العواصف العنيفة المفاجئة تكون خطرة على قوارب الصيد .

وهناك بحيرة تسمى بحيرة رضائية ، ومساحتها ٢٨٠٠ ميل مربع ، ومتوسط عمقها خمس ياردات ، وتصب فى هذه البحيرة نهيرات صغيرة قليلة، مما أدى الى إنكماش مستمر في مساحتها. (١)

وبينما نجد أن المناخ على الهضبة قارى ذو شتاء بارد وصيف حار الا اننا نجد أن الشتاء معتدل فى خوزستان ، ولكن الصيف يتميز بحر لا يطاق . وتعتمد شهرة خوزستان الآن على زيت البترول ... ومع أن صناعة البترول قد جلبت نشاطا وتطورا لم يسبق لهما مثيل فى هذا الجزء من البلاد ، فانها قد أدت من ناحية أخرى الى اهمال الزراعة ، لأن خوزستان كانت مشهورة فى العصور القديمة بأنها غنية بزراعة الحبوب وقد فقدت هذه الشهرة فى الوقت الحالى . (١)

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ـ دونالد ولبر صفحة ١٦ ـ ١٧

(٢) Iran, Richard N. Frye P. 5.

مشكلات المياه والرى والزراعة :

تشغل السلاسل الجبلية العالية والصحارى الواسعة ثلثى مساحة الاراضي فى ايران ، وهى أجزاء غير صالحة للزراعة ، وتبلغ مساحة الارض المزروعة فى الوقت الحاضر اقل من عشر مساحة الارض كلها .

وتربة ايران ليست من النوع الخصب ، فهى من نوع اللويس الذى يعتبر رمليا أكثر باضطراد كلما اتجهنا جنوبا وشرقا ، ولما كان الماء هو الحاجة الاساسية للزراعة ، فانه يعتبر عصب الحياة بالنسبة لايران ، ومنذ العصور القديمة والايرانيون يتبعون نظاما ملحوظا فى الرى يعتمد على أنفاق محفورة تحت الارض يطلق عليها اسم قنوات ، وهذه القنوات تجلب الماء من الجبال وتسير مسافة تبلغ فى بعض الاحيان ثلاثين ميلا تحت الارض لكى تتجنب الخسارة التى تفقدها بوساطة البخر حتى تصل الى السهول . واليوم مازالت هذه القنوات تحفر وتجرى صيانتها بطرق بدائية بحيث يبذل فيها جهد كبير ونفقات طائلة .

ومن سوء الحظ أن معظم الانهار على الهضبة عبارة عن أنهار موسمية تتكون عندما تنصب السيول بغزارة لفترة قصيرة فى الربيع ثم تجف بقية العام ، ومعظمها يصب فى بحيرات أو مستنقعات ملحية.ومن الممكن انقاذ كميات كبيرة من المياه لاستخدامها فى الاغراض الزراعية اذا أقيمت سدود دائمة ، وفى الوقت الحاضر تقام عدة سدود على أنهار خوزستان فى حين يجرى التفكير فى اقامة سدود أخرى فى اماكن متفرقة من البلاد. والواقع انه من الصعب أن نتصور كيف ينجح اصلاح الارض وتقسيمها على الفلاحين بدون

اقامة سدود ضخمة ، حيث ان الماء لا الارض هو العامل المهم فى ايران .... والملاك فقط هم الذين يملكون فى الوقت الحاضر راس المال اللازم والقدرة على جمع الفلاحين للعمل فى القنوات .

وقد جرى العرف على أن تقسم حاصلات الارض خمسة اقسام يخص كلا من الاشخاص الذين أمدوا الارض بالماء والحيوانات والبذور وقاموا بالعمل فى الحقل الخمس فى حين يأخذ المالك الباقى . والفلاح الذى يستطيع ان يجلب الثيران اللازمة أو يمد الارض بالبذور هو احسن حالا من جاره الذى يستطيع أن يقوم بالعمل فقط وعلى كل فالواقع أن للفلاح الايرانى مرتبط بالارض ، وهو مدين بصفة دائمة للمالك .

ولما كانت الزراعة فى ايران تقوم فى اغلبها على الامطار — فهى تزداد اذا زادت كمية المطر السنوى وتقل اذا قلت هذه الكمية ويتأثر بها حجم المحصولات المختلفة .

وتعتبر الحبوب أهم الغلات الزراعية ، وتشمل القمح والشعير والارز كما تنتج ايران ايضا الفواكه المختلفة واهمها الخوخ والمشمش والبرقوق والكمثرى والتفاح . ويزرع نخيل البلح فى الواحات ، وتوجد فى ايران ٨٠٠٠٠٠٠ من اشجار النخيل ، كما يقدر عدد اشجار الزيتون فى ايران بحوالى ٤٠٠٠٠ شجرة تزرع فى مساحة محدودة على المنحدرات الشمالية لجبال البرز ، ومحصولها من الثمار والزيت الذى تغله ذو قيمة اقتصادية كبيرة ويعتبر العنب كذلك من المحصولات الهامة ، وهو يعتبر الغذاء الرئيسي فى فصل الصيف ، وهو يجفف ويصدر على هيئة زبيب كما يستعمل فى صنع النبيذ .

وبالاضافة الى ذلك توجد محصولات للايراد الزراعى كالقطن والبنجر والطباق والشاى . وتنمو اشجار التوت فى جميع

أجزاء الهضبة الايرانية ، وتربى قرى كثيرة دود القز الذى يتغذى بأوراق التوت ، ولكن أهم مركز لاعداد شرانق دود القز هو السهل الساحلى لبحر قزوين ، ويتردد انتاج الحرير بين ٥٠٠ — ٢٠٠٠ طن سنويا .

وفى ايران نحو خمسين مليون فدان من الغـــابات ، ولكنها ليست كلها ذات قيمة اقتصادية كبيرة . وتوجد الغابات على طول المنحدرات الشمالية لسلسلة جبال البرز مبتدئة من مســـافة قصيرة خلف بحر قزوين والشريط الساحلى لهذا البحر ، وتتدرج فى الارتفاع حتى تصل الى ارتفاع أقصاه ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وتغطى أغلب هذه المساحة غابات من شجر البلوط وشجر الدردار والجوز والزان ، وتعد هذه الاشجار ثروة وطنية تجب المحافظة عليها ، ولذا فان قطع الاشجار خاضع للقوانين الحكومية . وقد استمر قطع الغابات فى الهضبة الايرانية قرونا عدة ، وما زال قائما على قدم وساق ، فالبدو يقطعون أشجار البلوط المنخفضة ويحرقون الخشب للحصول على الفحم ، فى حين تلتهم قطعان الغنم والماعز الشجيرات الجديدة . كما أن الفلاحين فى كل مكان يبحثون بحثا حثيثا عن الوقود ، ومن المتيسر تماما اعادة زراعة الغابات فى مناطق معينة من البلاد ، ولكن ينبغى أن يحمى كل قسم تعاد زراعته لمدة معينة من الســـنوات حتى لا تصـــيبه أنواع التخريب التى ذكرت . (١)

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ١٤٠ — ١٤١

القبائل والاقليات :

تعد القبائل فى ايران من الاهمية بمكان بالرغم من قلة عدد افرادها الذى يبلغ نحو ١٠٪ من عدد السكان ، ذلك لانها أكثر نظاما وتنظيما من السكان المستقرين ، وهى ضرورة تقتضيها مطالب الحياة فى ايران ، فهم يتنقلون بقطعانهم من الماعز والاغنام والجمال والخيول والماشية فى بعض الاحيان مرتين فى العام ما بين مقرهم فى الصيف ومقرهم فى الشتاء ، وكثير من أجزاء الهضبة لا تصلح الا للرعاة فقط ، هذا بالاضافة الى أنها لا تصلح للسكنى الا فى فصل الصيف ، ومن ثم يبدو أن قيام الرعى بشكل من الاشكال أمر ضرورى .

وقد لعبت القبائل دورا هاما فى تاريخ ايران ، فهى تولى الملوك وتمد الجيش بجنود اشداء ، ولذا تعتبر القبائل دولة داخل دولة ، لأنها تسن قوانينها الخاصة بها فى أراضيها ، ولهذا كثيراً ما تكون شوكة فى جنب الحكومة المركزية فى طهران مما يحد من جهودها فى سبيل توحيد البلاد .

ولكن ما القبائل الرئيسية فى ايران اليوم ؟

ان الاكراد هم اكثر هذه القبائل أهمية ، ويبلغ عددهم حوالى مليون نسمة ، وهم يعيشون فى مرتفعات زاجوروس غربى ايران ، وهم مستقرون فى الغالب ، ويعيشون فى ظل نظام قبلى صارم ، كما يعيش اخوة لهم عبر الحدود فى العراق وتركيا . وقد تكونت جمهورية كردية فى ايران سنة ١٩٤٥ ولكنها حلت فى السنة

نفسها ، والغالبية العظمى من الاكراد يعتنقون المذهب السنى ، فى حين يعتنق الايرانيون ومعظم القبائل الأخرى المذهب الشيعى .

اما قبائل اللوريين (Lurs) والبختيارى فتقطن جنوب مناطق الاكراد ويتكلمون لهجات قريبة الشبه باللغة الكردية ، ويبلغ عدد افراد هذه القبائل حوالى نصف مليون . وتقضي قبائل البختيارى الصيف فى المنطقة المجاورة لاصفهان ، فى حين تقضي الشتاء فى خوزستان . اما فى اقليم فارس فتوجد قبيلتان رئيسيتان تتكلمان اللغة التركية هما قبيلة الكاشكيين وقبيلة الخمسة . وتوجد فى خوزستان قبائل عربية .

وقد استقرت غالبية التركمان الذين كان يخشي بأسهم فى الماضي فى أرض خراسان بالرغم من أنه مازال يوجد منهم كثير من الرحل فى اقليم الاستبس فى الشمال ، ويوجد هنا أيضا الاكراد الذين وطنهم الشاه عباس فى أوائل القرن السابع عشر كجزء من سياسته فى خلط السكان وعزل الافراد الذين قد يسببون له المتاعب .

وتعدد اللغات واللهجات بين القبائل أمر محير ، ولكن هناك أقليات أخرى مستقرة تزيد مشكلة تكوين سكان ايران تعقيدا ، ومن أهم هذه الأقليات الاذربيجانيون الذين يتكلمون اللغة التركية والذين يزيدون على المليون ونصف المليون من النسمة ، ويتندر بعض الكتاب عليهم بأنهم يتحدثون بالتركية ويكتبون بالفارسية ويصلون بالعربية . (١)

---

(1) Iran, Richard N. Frye P. 10.

الفصل الثانى

إيران عبر عصور التاريخ



لقد كتب الفرس انواعا شتى من كتب التاريخ فى العصور الوسطى سواء بالعربية أو الفارسية بما فيها اسفار أخبارهم سنة بعد سـنة ، والتى كان معظمها يتناول الاحداث السياسية والعسكرية ، وتضمنت مؤلفات أخرى كثيرا من أخبار المدن تصف ضـواحيها والمشهورين ممن ولدوا فيها ، كما تضـمنت الاحداث البارزة فى ماضي المدينة ، هذا بالاضافة الى مجموعات السير وكتب الجغرافية التاريخية وكتب الرحلات ذات الاهمية الاثرية ... واذا كان هناك موضوع مشترك بين هذه الكتب جميعها فهو الدين الاسلامى الذى وضع مقاييس الموضوعات التى تهم الكاتب والقارىء معا . وهكذا اذا كان لاحد أن يتفهم الشرق ، فلا بد أن يتحقق من تغلغل هذا الدين فى جميع أرجائه .

ومراحل تاريخ ايران محدودة المعالم وواضـحة وضـوح الفصول وتعاقب الليل والنهار ، واذا تحدث انسـان عن التغيرات العظيمة التى حدثت فى مجرى تاريخ ايران ، فان أهم الخطوط الفاصـلة هو الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى ، الذى يقسم تاريخها الى عصر ما قبل الاسلام والعصر الاسلامى .

ولا يعادل الاثر الذى تركه الاسلام فى إيران أى أثر آخر حتى الاثر الكبير الذى يحدثه الغرب فى العصور الحديثة ، ذلك لان الاسلام استطاع أن يشكل أسس الحياة اليومية ذاتها ، هذا بالاضافة الى أثره العميق

فى الثقافة الايرانية فالدين الاسلامى ليس دينا فحسب ، بل هو دين وحضارة وثقافة ، وهو تشريع ونظام للحكم .

وهكذا فالمقياس الذى يجب أن يستعمل فى الحكم على أهمية المراحل المختلفة فى تاريخ ايران هو الدور الذى لعبته كل مرحلة فى ايران .

ويقترح الاستاذ فراى (1) تقسيم تاريخ ايران الى المراحل التالية :

١ ــ الاكمينيون : من القرن السادس الى القرن الرابع قبل الميلاد .

٢ ــ غزو الاسكندر الاكبر والدولة الاغريقية ٣٣١ ــ ١٢٩ ق . م .

٣ ــ النزاع بين البارثيين والرومان من جهة وبين الساسانيين واليونان من جهة أخرى (الشرق ضد الغرب) ١٣٠ ق . م . ــ ٦٤٠ م .

٤ ــ الفتح العربى : القرن السابع الميلادى .

٥ ــ الغزو التركى المغولى : من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر

٦ ــ النزاع الصفوى العثمانى من القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر .

٧ ــ أثر الغرب : القرنان التاسع عشر والعشرون .

---

(1) Iran, Richard N. Frye P. 30-31.

الاكمينيون :

قام الاكمينيون ببناء أول امبراطورية ايرانية عظيمة وانشئوا عالمها القديم ، كما خطوا نماذج الدولة والنظام الحكومى للاسرات التى جاءت فى العصور التى تلت هذه الفترة . وقد أمكن للاكمينيين تكوين أول امبراطورية كبيرة فى العالم على يد قورش الذى استولى فى عام ٥٤٦ ق .م. على ارمينية وآسيا الصغرى والمستعمرات اليونانية التى على ساحل البحر المتوسط ثم خلف قمبيز أباه قورش وقام بغزو مصر ، ثم تولى دارا عرش المملكة ، وتميز عهده بالحروب المستمرة بينه وبين اليونانيين . ثم تولى العرش اكسركيس الاول بعد أبيه دارا فى عام ٤٨٥ ق . م ، وفى عهده بدأت علاقات اكثر ودا مع الولايات والمستعمرات اليونانية .

وكانت الحضارة الاغريقية ذات تأثير كبير فى الشرق الادنى مثل أثر الغرب الآن ، وقد أثرت الافكار الجديدة فى العلم والفلسفة والدين والهندسة المعمارية وغيرها فى نواحى الحضارة فى ايران ، ولا يحتاج الانسان الا أن ينظر الى التماثيل اليونانية الصغيرة والعملات وآثار المبانى التى تكتشف كل سنة فى ايران أو فى أفغانستان حتى يتيقن أن الثقافة اليونانية لم تؤثر بأفكارها على الطبقة المتعلمة فحسب ، بل نفذت كذلك الى الحياة العادية ذاتها فى عصر البارثيين الساسانيين .

وقد أدى النزاع بين البارثيين والرومان من جهة والساسانيين واليونانيين من جهة أخرى الى تقسيم العالم الى شرق وغرب ، وكان من نتيجة هذا أن تحولت أنظار ايران من البحر المتوسط الى

آسيا الوسطى والهند ، وهذه هى الفترة التى انتقل فى اثنائها مركز ثقل السلطة والحضـــارة الايرانية من الجنوب الغـــربى (فارس وخونستان) الى الشمال الشرقى (خراسان) وقد عجل الفتح العربى بهذه العملية . وحتى ذلك الوقت لم يكن الجزء الشرقى من ايران قد قام بدور يذكر فى تاريخها ، ولكن الاتصالات التجارية مع الشرق الاقصي والهند أعطت ايران أهمية جديدة كوسيط بين الشرق الاقصي وأوربا .

الفتح العربى ونتائجه :

لقد كانت بلاد العرب ــ دائما ــ موطنا للبدو الرحل ، وهم عنصر سامى يعادى الغزو والتأثيرات الاجنبية . وفى السنوات الاولى من القرن السابع ، كانت شبه الجزيرة العربية هادئة ، وكانت مكة والمدينة مدينتين صغيرتين تقتصر شهرتهما على مجرد وقوعهما على الطريق الرئيسي لسير القوافل ، كما كانت مكة ــ منذ وقت طويل ــ مركزا لعبادة الاصنام ومكانا للحج . وفى هذا المكان الهادىء ولد النبى صلوات الله عليه فى عام ٥٧٠ م ، ولم تتضح رسالته العظيمة الى أن بلغ سن الاربعين ، وحين ذاك أوحى اليه القرآن وبدأت دعوته تتقدم ببطء ، ثم قام عليه السلام بهجرته من مكة الى المدينة فى عام ٦٢٢ م (١ هـ) وهو التاريخ الذى صار بداية للتاريخ الاسلامى الهجرى ، وظفر النبى بسيطرة كاملة على شبه الجزيرة العربية قبل وفاته فى عام ٦٣٢ م (١١ هـ) بسنوات قليلة .

واصبح ابو بكر صديق النبى الوفى ، واسبق من آمن به من الرجال ، أول خليفة للمسلمين ، فوجه سلسلة من الحملات العنيفة الى ما بين النهرين وسورية ، فأصابت نجاحا كبيرا ، بحيث اشتبك المجاهدون المسلمون بالقوات الرئيسيةللبيزنطيين والساسانيين (١) ويهمنا هنا أن نذكر معركة القادسية التى استمرت اربعة أيام بين المسلمين بقيادة سعد بن ابى وقاص وبين الفرس فىعام ٦٣٦ م . فقد انتصر المسلمون انتصارا رائعا من كل الوجوه ... فقد قتل

(١) ايران ماضيها وحاضرها ــ دونالد ولبر صفحة ٤٩

معظم قواد الفرس العظام ، واستسلمت فرقة حرس القائد الفارسي رستم ، وهم الجند المعروفون بجند شاهنشاه وكانوا اربعة آلاف رجل ، فانضموا الى المسلمين بعد أن استأمنوا سعدا على أن يحالفوا من أحبوا من القبائل ، وان يفرض لهم العطاء اسوة بالمسلمين ، فأعطاهم سعد بن ابى وقاص ما سألوا . . .ثم لم يلبثوا أن اعتنقوا الاسلام وأصبحوا جزءا من الجيش الاسلامى ، وكان من نتيجة موقعة القادسية أيضا ان دان كثير من الفرس بالطاعة لسعد ابن ابى وقاص مما سهل على الجيش الاسلامى التقدم الى المدائن حيث لم يلق مقاومة جدية من الفرس ، أما الغنائم التى غنمها المسلمون فهى شيء كثير لا يعد ولا يحصي من أموال وسلاح .. (١)

ولم يجد سعد وجيشه كبير مشقة فى فتح المدائن ، فقد كان الطريق اليها خاليا من المقاتلين ، فقصدوا القصر الابيض وفيه ايوان كسرى . . . ودخل سعد ورجاله القصر ، وقد ظنوا أن الملك قد أخذ معه عند فراره كل ما يحويه القصر من أموال وتحف ومتاع ، ولكن الواقع ان ما حمله مما خف حمله وغلا ثمنه كان قطرة من بحر وقد وجد المسلمون القصر عامرا بالنفائس والذهب والفضة .

وقد دلت معركتا القادسية والمدائن على أن المسلمين الذين خرجوا لفتح العراق انما خرجوا لنشر رسالتهم السامية التى تدعو العالم الى الخير وانقاذ الناس من ظلم الملوك والحكام وردهم الى عدل الاسلام وتخليص المستضعفين من جبروت الاقوياء ، ولم يكن خروجهم للسلب والنهب والاثراء وانما كانوا يبغون نشر راية الوحدانية . وان البطولات الفردية التى تجلتفى معارك القادسية فى أيامها الأربعة وعبور المسلمين دجلة الى المدائن على ظهر

---

(١) سعد بن ابى وقاص ـ عبد القادر طليمات صفحة ٩٤و٩٥ ـ القاهرة المكتبة التاريخية ـ دار القلم (١٩٦١) .

الخيول ، هي اعظم دليل على ان هؤلاء المحاربين المجاهدين ما كانوا يبغون من وراء القتال الا وجه الله .

ولا تقل اهمية فتح المدائن عن أهمية انتصار القادسية ، فكما ان انتصار القادسية حطم معظم قوة الفرس العسكرية الرئيسية ، فان فتح المدائن حطم روحهم المعنوية ، لأنها عاصمة الامبراطورية الفارسية ومنها تصرف شئون الامبراطورية الواسعة ، كذلك كانت مركز حضارتها ، ثم هي المعبر الى داخل الامبراطورية فسقوطها مهد السبيل للقوة الاسلامية في القضاء على ما بقى من القوة الفارسية في معركة نهاوند بعد ذلك فلم ينهضوا بعدها نهوضا جديا تجاه المسلمين ... ثم انتشر المسلمون بعد ذلك داخل الامبراطورية فاستولوا على اقليمها الرئيسي ، وهو اقليم فارس ، فطووا بذلك امبراطورية الاكاسرة تحت جناح دولتهم الفتية ، وأصبحت جزءا هاما من أجزاء الامبراطورية الاسلامية العظمى.(١) وهكذا دخلت غالبية الفرس في الاسلام ، بل ان أهم مظهر من مظاهر ايران حتى العصر الحاضر تأثرها تأثرا عميقا بالاسلام (٢) .

ولم يقم العرب باحلال نظم أخرى محل النظم الحكومية التى اقامها الساسانيون ، وكانت اللغة العربية هي الاختيار الطبيعي لا لأنها لغة القرآن الكريم فحسب ، بل لأنها كانت اداة طيعة للغاية كما تطورت الثقافة العربية الى حد كبير عقب اتصالها بالفلسفة اليونانية والافكار الفارسية ، كما كانت اللغة العربية تنافس اللغة اللاتينية وتتفوق عليها في العصور الوسطى كلغة العلم والتعليم . . وقد ساهم الفرس بنصيب وافر في هذا المضمار وتحتوى قائمة الايرانيين الذين اشتهروا بكتاباتهم العربية على أسماء كثيرة من

---

(١) سعد بن أبى وقاص — عبد القادر طليمات صفحة ١٠٧ — ١١٣ .

(٢) The Middle East (R.I.I.A.) P. 203-204).

أمثال ابن سينا والرازى والغزالى الذين وفقوا بين المعتقدات الصحيحة وبين التصوف فى الدين الاسلامى .

وكانت الخلافة الأموية امبراطورية عربية عاصمتها دمشق ووجهتها البحر المتوسط . وكانت سورية موطن الخلفاء ومصدر مؤيديهم حتى بعد أن استمرت الامبراطورية فى التوسع ، وزحفت الجيوش الاسلامية أيام حكم الأمويين حتى عبرت جبال البرانس سنة ٧١٨ م فى حين توغلت فى الشرق حتى منطقة الاستبس فى أواسط آسيا ... واستطاع الامويون أن يحتفظوا بالسلطة حتى سنة ٧٥٠ م حينما استولى العباسيون على السلطة بزعامة فارسي يدعى أبو مسلم .

وقد فسر بعض العلماء الثورة العباسية على انها ثورة الفرس ضد العرب ، كما يؤكد هؤلاء العلماء أن الخلافة الجديدة كانت فارسية أكثر منها عربية . . والواقع انه بالرغم من أن الحكام الجدد أسسوا عاصمتهم بغداد فى العراق ، وكانوا متأثرين بالعادات الساسانية فى البلاط الملكى فان العباسيين كانوا عربا ، ولم يتولوا مقاليد السلطة على أساس تفوق أى عنصر أو شعب بل ان الثورة العباسية كانت ثورة اجتماعية واقتصادية ضد سيطرة الدولة الأموية .

وكانت الأسرة الحاكمة الجديدة تميل الى الفرس ، فقد تأثرت تأثرا قويا بنظم فارس الساسانية ، وقد نقلت العاصمة الى بغداد وهى أرض كانت خاضعة لحكم الساسانيين ، وازدادت أهمية النظم والآداب والرأسمالية التى كانت شائعة فى بلاط فارس قبل الفتح الاسلامى كما زادت أهمية معالم البيروقراطية الساسانية القديمة خلال حكم العباسيين .

ومن الواضح انه بالرغم من عملية التقريب بين الطبقات التى

يحث عليها دين ديمقراطى اشــــتراكى مثل الاســــلام ، فان الفرس احتفظوا بكثير من صفات نظام الطبقات الاجتماعية الذى بقى من أيام حــكم الساسانيين (١) بل انهم لا يزالون حتى الآن ينتهجون سياسة الفوارق بين الطبقات . والنظريات الاشتراكية والديمقراطية نظريات أصيلة فى المجتمع العربى وحث عليها الدين الاسلامى . فعندما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة ، وقف فى الناس ليقول « لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتم فى أعوجاجا فقومونى ، ولا خير فيكم ما لم تقوموا ، ولا خير فى ما لم أسمع » . فرد عليه احد المسلمين قائلا « والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناك بحد السيف » .

وما كان ليستطيع هذا الرجل أن يقول ذلك لو علم أنه فى مجتمع ظالم ، يظلم فيه الوالى الرعية ، وتظلم فيه الرعية نفســـها بالسكوت على الظلم ، والله انها لأسمى مراتب الديمقراطية التى لم تصل اليها البشرية فى وقت من الاوقات . أما عن ناحية الاشتراكية واصالتها فى الاسلام ، فيكفى ان نشير الى ما قاله المستشرق دوزى عن المبادىء الاجتماعية فى الاسلام ، يقول دوزى : « ان المبادىء الاشتراكية هى من وضع الاسلام ، وانها تعد وايم الحق الناحية الحساسة جدا فى صميم قواعد الدين الاسلامى ، ولها جهات تنطوى على نبالة القصد لازالة ضغط الحاجة عن الفريق الرقيق الحال فى مجتمعنا البشرى ، ويخال الى كلما توغلت فى دراســـة الاهداف الشرعية التى نص عليها القرآن الكريم فيما يتعلق بالحياة الاشتراكية، اننى أرى دموع محمد تنسكب على محياه كلمـــا ورد اسم فقير على لسانه أو تحدث اليه متحدث عن فواجع الفقر وآفاته » (٢) .

---

(١) Iran, Richard N. Frye P. 47.

(٢) الاشتراكية الديموقراطية التعاونية ـ ابراهيم البرايرى صفحة ١٣٤ ـ١٣٥.

وقد تمتع الفرس بمكانة هامة فى العالم الاسلامى بعد قيام الدولة العباسية (١) ونتيجة لتوســـع النفوذ الفارسي تحت حكم العباسيين ، كان من الطبيعى أن تقوم الثورات ضد السلطة العربية أو الاسلامية فى ايران . وتاريخ نهاية القرن الثامن الميلادى ملىء بمثل هذه الثورات ، ومعظمها ثورات دينية وســـياسية فى الوقت نفسه ، ولكن لم تنتج واحدة من هذه الثورات .

---

(١) The Middle East (R.I.I.A.) P. 201

الدولة الطاهرية :

وسرعان ما أصبح الاسلام الدين السائد فى ايران ، وفقدت الثورات التى قامت بعد ذلك طابعها الدينى وأصبحت ثورات سياسية . وأول الممالك الفارسية التى تأسست تحت حكم الخلافة العباسية كانت من حكام خراسان من بين الاسرة الطاهرية . ولما كان أفراد هذه الاسرة يدينون بالولاء للخلفاء ، فان الخلفاء بدورهم كانوا يعينون الحكام بعد سنة ٨٢٢ م من بين افراد هذه الاسرة فقط ، مما اضفى على هذه الاسرة طابعا وراثيا (١) . وقد امتاز الطاهريون بحب الكتابة والشعر (٢) . والواقع ان سلطة الخليفة العباسي كانتقد انتهت الى الابد فىايران ، ولم يكن يعترف برئيس العالم الاسلامى الا شفويا فقط ، وذلك باعتباره قبل كل شيء رمزا دينيا اكثر منه سياسيا . وحتى فىالغرب ... فى أسبانيا وشمالى افريقية ومصر ، لم يعد يعترف حتى بسلطة الخليفة الدينية وهكذا بدأت أولى دلائل فصل السلطات الدينية والسياسية فى العالم الاسلامى . وكان هذا سببا فى قيام مناقشات علمية استمرت طويلا بين العلماء بشأن طبيعة الدولة الاسلامية التى انتهت على يد السلجوقيين بالنظرية السياسية التى تقول : ان السلطان يمارس السلطات الزمنية فى حين أن الخليفة يختص بالامور الدينية والقانونية ، وبالطبع كانت علاقة الخليفة بالسلطان غير طيبة فى بعض الاحيان ، وتصل أحيانا الى حد النزاع ، ولم تنته مسألة ازدواج السلطة الا بنهاية الخلافة نفسها .

---

(١) Iran, Richard N. Frye P. 48.

(٢) ايران ماضيها وحاضرها ــ دونالد ولبر صفحة ٥١ .

الاسرة الصفارية :

وانتهى أمر الدولة الطاهرية فى عام ٨٧٢ ، بعــد أن هزم محمد بن طاهر آخر أفراد الاسرة الطاهرية على يد جيش من الثوار من اقليم سيستان برياسة يعقوب بن الليث الصفارى ، وكان يعقوب هذا نخاسا وقاطعا من قطاع الطرق ، ثم أصبح فى عام ٨٦٧ سيدا على خراسان وهراة ، الا انه سرعان ما أسقط دويلتهم وبسط نفوذه على كرمان وفارس واصفهان ايضــا . وتوفى فى عام ٨٧٩ م بعد انهزامه فى محاولة لفتح بغداد نفسها ، فتوجه اخوه عمرو بن الليث الى اقليم ما وراء النهر وكان السامانيون قد ظفروا فيه ــ حديثا ــ بالسلطة ، ولكنه هزم وأرسل أسيرا الى بغداد حيث اعدم فى عام ٩٠٢ م ، واحتفظ اعقابه بالحكم طويلا فى سجستان ، وقد حدثت فى هذه السنوات المحدودة للحكم الصفارى حادثة ذات مغزى مهم . . . الا وهى أن يعقوب الصفارى سمح للشعراء بنظم الشعر بالفارسية لأول مرة بعد الاسلام .

الأسرة السامانية :

وجاءت فى أعقاب هذه الاسرة الصفارية أسرة أخرى اكثر أهمية هى الاسرة السامانية التى جاءت من عاصمتهـــا بخارى فى أواسط آسيا وسرعان ما استولت على معظم الاراضي الصفارية . وقد حكم اسماعيل مؤسس هذه الدولة من ســـنة ٨٩٢ الى سنة ٩٠٧ م ، وكان قائدا مظفرا جدا ، واستطاع فى السنوات الاخيرة من حكمه ان يكرس كثيرا من وقته لتعمير عاصمته بخارى .

وقد وصلت الدولة السامانية الى اقصي قوتها فى عصر نصر ابن أحمد من سنة ٩١٣ الى سنة ٩٤٣ م فسيطرت على اقليم ما وراء النهر وخراسان وسجستان وجرجان وطبرستان والرى وكرمان ، وضم بلاط بخارى رجالا من ذوى العلم الغزير ، وكان منهم الفيلسوف أبو على بن ســـيناء ، وفيه ولد الادب الفارسي الحديث على أيدى الشاعرين الرودكى والدقيق منشئ الشعر الخماسي ، ولكن تحول الدولة السامانية الى حكومة اقطاعية وشعب يئن من الظلم ، أدى الى ظهور حكام اقوياء ثم الى اسقاط الدولة فى النهاية .

الاسرة البويهية :

وفى الوقت الذى كان فيه السامانيون يحتضنون الثقافة الفارسية فى شرقى ايران . . . كانت هناك اسرة من الشيعة توسع حدودها من مازندران على بحر قزوين لكى تضم معظم غربى ايران وبغداد نفسها فى نهاية الامر ، وكانت هذه الاسرة هى الاسرة البويهية التى سميت باسم مؤسسها ابن بويه ، والتى ظلت حتى استولى الاتراك السلاجقة على بغداد سنة ١٠٥٥ م . وكان البهويهيون اول اسرة هامة فى ايران تعتنق المذهب الشيعى ، وهو المذهب الذى أصبح غالبا فيما بعد فى معظم انحاء ايران . واتخذوا لهم كذلك لقب شاهنشاه (ملك الملوك) الذى كان شائعا فى ايران قبل الفتح الاسلامى كما حاولوا ربط نسبهم الى البيت الملكى الساسانى ، وبالرغم من أن الخلفاء العباسيين كانوا سنيين ، فقد رأى الحكام البويهيون الذين اغتصبوا سلطات الخليفة الزمنية ان من الحكمة الا يستبدلوا الخليفة بخليفة آخر شيعى ، بل يتركوه فى منصبه ، ومع ذلك كان الخلفاء ضعيفى النفوذ ، وكانوا يولون او يخلعون باشارة من البويهيين ، لكن رهبة منصب الخليفة أبقت على الخلافة ، وكانت مجرد محاولة الغاء المنصب كافية لاحداث ضجة فى انحاء العالم الاسلامى كله .

الدولة الغزنوية :

وابرز شخصية بين البويهيين شخصية عضد الدولة ، الذى حكم من عام ٩٤٩ الى ٩٨٣ م ، وقد اتخذ الرى واصفهان عاصمة له . وقد اتجهت الدولة بعد وفاةعضد الدولة نحو الانهيار بخطى سريعة فانتزع محمود الغزنوى الجزء الغربىمنها فى حينبقى الجزء الشرقى سليما حتى مجىء السلاجقة . وقد ارتفع شأن تسعة من افراد الاسرة الغزنوية الذين حكموا فى الجزء الشرقى منايران فى تلك الاوقات ، وكان البتكين أول حكام هذه السلسلة عبدا اشتراه اسماعيل السمانى ، ثم صار حاكما على خراسان واعلن نفسه سلطانا على غزنة فى حوالى سنة ٩٦٠ م .

وقد أخذ محمود سادس أفراد هذهالأسرة علىعاتقه أن يوسع مملكة أسلافه المحدودة ، فأسقط الدولة السامانية فى عام ٩٩٩ وابتلع الزياريين ، ودفع البويهيين الى غربى الهضبة الايرانية فى عام ١٠٢٩ م لكى يبسط حكمه فوق مهجارا وأفغانستان وما وراء النهر ، وخراسان وطبرستان وسجستان وجزء من الهند ، ولم يبق خارج نفوذه من ايران الاصلية سوى كرمان وفارس (١) .

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ـ دونالد ولبر صفحة ٥٤

الغزو التركى :

منذ عصر الدولة الاكمينية ، اعتادت القبائل التركية الهجرة من وسط آسيا نحو الهضبة الايرانية . وقدر للممالك الايرانية ان تقع فى يد القبائل التركية الوافدة ، وقد عمل الجنود الاتراك من المرتزقة فى حرس الخليفة لعدة قرون ، وقد تطوعوا أيضـا فى الجيوش السامانية.وبدأ الاتراك يقومون بدور الحرس المميزين عن غيرهم ، ووصـل بهم الامر فى القرن التاسع الى أن أصـبحوا يستطيعون ترشيح وخلع سادتهم، والواقع ان ازدياد عدد الحراس الاتراك جعل عددا من الخلفاء ينقلون بلاطهم إلى مدينة سامرا التى أقيمت شـمال بغداد ، وقد أصـبح الاتراك معروفين بجرائمهـم العسـكرية ولم يمض زمن طويل حتى ازداد عددهم فى القـوات العسكرية فى الشرق الادنى ، وكانت المرحلة النهائية هى تكوين دول تركية فى هـذه المنطقة ... وقد نشـأت أول هـذه الدول — كما قدمنا — على حساب السامانيين حينما استطاع البتكين وهو أحد العبيد الاتراك فى خدمة الحكام السامانيين أن يرتقى الى أحد المناصب العالية ثم يكون الدولة الغزنوية .

وكان الاتراك السـلاجقة هم خلفاء حـكام غزنة ، ولكنهم سرعان ما أسسوا امبراطورية اعظم من سابقتها امتدت من وسط آسيا حتى البحر المتوسط .

وحينما حل السلاجقة فى وسط ايران وغربيها ، كان كثير من أجزائها يحكمه ولاة صغار يمسك بعضهم برقاب بعض ، فأسقط السـلاجقة الدويلات المحلية ، ووحدوا آسـيا المسلمة واعتنقوا

الاسلام بحماس عظيم ... وتفصيل الامر ان قبيلة من الاتراك الرحل كانت أكثر قوة مما عداها من القبائل ، وكان محمود الغزنوى قد اقتطع افرادها مقاطعة بالقرب من بخارى ، ثم اجلاهم بعد ذلك الى خراسان ، فثار زعيمهم طغرل بك وقادهم لسحق قوة الغزنويين ، ثم شق طريقه بعد ذلك عبر أيران الى بغداد ، ففتح الخليفة العباسي له أبوابها فى عام ١٠٥٥ م وسر الخليفة بمنح طغرل بك لقب «ملك المشرق والمغرب» ، ثم رجع طغرل الى الرى ، واتخذها عاصمة له وأسس دولة السلاجقة التى استطاع فرعها الرئيسي ان يحكم حوالى مائة عام من البوسفور الى التركستان الصينية أما فروعها الصغيرة فقد امتدت سلطتهم الى مدة اطول من ذلك .

وقد صار هذا العصر احد العصور المهمة فى تاريخ الحضارة الايرانية لأن الاتراك البدو الأميين سرعان ما وضعوا الفرس فى المناصب الرئيسية وهكذا تغلبت ايران من الوجهة الثقافية على السلاجقة ، أما فى الاناضول فقد كان السكان مسيحيين ، وكان من سياسة السلاجقة ان يرسلوا الرحل من الاتراك الشديدى البأس لكى يقاتلوا البيزنطيين او الممالك المسيحية فى جورجيا وارمينيا لكى يطردوهم من الاراضي الاسلامية .

وأعقب طغرل ابن اخيه ألب آرسلان الذى حكم من ١٠٦٣ الى ١٠٧٢ م وقد اتخذ ايرانيا فذا هو « نظام الملك » وزيرا له أو رئيسا لوزرائه . وقد أشعل ألب آرسلان حروبا كثيرة فغزا سورية . وهزم الامبراطور البيزنطى رومانوس ديوجنس وأسره ، الا أن ألب آرسلان قتل بيد واحد من الأسرى بعد ذلك ، وخلفه ابنه ملكشاه الذى شغل نفسه بالحروب والصيد وبقى « نظام الملك » وزيرا واجتمعت فى يديه جميع أزمة الامور فى الدولة .

ونظام الملك قوام الدين هو الذى أوجد نظاما اقطاعيا عن طريق اعطاء هبات من الارض للضباط العسكريين ، وبهذا ضم

زعماء الاتراك الى طبقة الملاك الارستقراطيين من الفرس ، وقد سجل تجاربه العملية فيرسالة عنوانها «فن التاريخ وفن الحكم» .
وكان السلاجقة يذهبون مذهب أهل السنة ، فيتشددون كثيرا

مع الشيعة ، وكانت هذه الفرقة الاخيرة قد قويت جدا فى ايران منذ العصر البويهى،وكانت أهم مقاومة لها تظهر من فرقة الاسماعيلية بقيادة الحسن بن الصباح وهى الفرقة التى عرفت فى العالم الغربى باسم السفاكين Assasins وقد وزعوا عملاءهم من قلاعهم القوية فى شمالى ايران وفى أقصي المغرب ليثيروا الاضطرابات فى البلاد وليقوموا بتنفيذ اغتيالات سياسية ، وكان « نظام الملك » أحد ضحاياهم . وقد عجز خلفاء ملكشاه عن الاحتفاظ بتماسك الدولة . وسرعان ما فقدوا سورية وآسيا الصغرى وفضلا على ذلك فقد استطاع الأتابكة أن يصلوا الى درجة من القوة بحيث أخذت ايران تتمزق الى دويلات شبه مستقلة .

وكان سنجر الابن الثالث لملكشاه آخر سلطان من السلاجقة وفى أواخر حياته بدأت علامات الاضطرابات الداخلية تعم الدولة نظرا للتهديدات المستمرة من الخارج ، فقد جاءت قبيلة القره خطاى التركية المغولية من أقصي الصين وهزمت سنجر فى عام ١١٤١ واحتلت اقليم ما وراء النهر .

وبعد موت سنجر ، استولى سلاطين الدولة الخوارزمية على اراضي الدولة السلجوقية بسرعة . وكان اتسز أول سلاطين الدولة الخوارزمية وقد حكم فيما بين عامى ١١٢٨ م و ١١٥٦ م ، وقد وسع حفيده السلطان محمد من ١٢٠٠ — ١٢٢٠ م الدولة الخوارزمية فشملت جميع ايران ، وكان على وشك التقدم الى بغداد عند ظهور المغول .

اغارات المغول :

أصبحت القبائل التركية جزءا من المدنية الاســلامية التى اصبحت متينة البنيان ، ولكن خلفاءهم من المغول الذين وفدوا من الشرق الاقصي كانوا بعيدين عن ثقافة الشرق الاوســط . وكان المغول يمثلون الى حد ما ذروة الغزوات التى دامت قرونا ضـد ايران من الاجناس الواحدة من اقليم الاستبس الواقع فى أواسط آسيا . وكان المغول مثل أســلافهم يعتمدون على النظام الصارم وعلى رماة السهام الذين يمتطون صهوات الخيل ويعتمدون على سرعة الحركة . وكانوا خبراء فى اســتخدام الارهاب وتكتيك الطابور الخامس كسياسة عسكرية مدبرة ، والواقع انهم كسبوا كثيرا من المعارك قبل أن يشتبكوا مع العدو لانه غالبا ما كان يفقد روحه المعنوية عند سماعه القصــص الرهيبة التى كان يحكيها المهاجرون من جماعات المغول . (١)

وقد ولد تموجين حوالى عام ١١٦٠ م ، وهو الشخص الذى قيضت الاقدار له قيادة قبائل المغول عبر آســيا متخــذا لقب جنكيزخان ، وسرعان ما استطاع أن يقود طوائف الرعاة وأن يكتسح البلاد جنوبا وشرقا ويسيطر على الصين المتحضرة . وفى عام ١٢١٩ م اتجه غربا ، ثم توقف على حدود الدولة الخوارزمية ليرسل رسلا الى السلطان محمد الذى استنكف أن يتصل بهؤلاء البرابرة

(١) Iran, Richard N. Frye P. 55.

غير المعروفين ، فكانت النتيجة التحطيم السريع لدولته فقد سار الجيش المغولى قدما للاستيلاء على بخارى وسمرقند وبلخ ومرو ، فحوصرت المدن التى أبدت مقاومة ثم اجتيحت وأحرقت ، وكثيرا ما محيت من فوق سطح الارض ، وسقطت نيسابور فى عام ١٢٢١ م وقتل سكانها وجميع الكائنات الحية بها . ولكن جنكيزخان لم يؤسس حكما مغوليا فى فارس ، اذ انه ترك هذا الامر لحفيده هولاكو ، وقد فتح هولاكو ايران وسقطت بغداد فى يده سنة ١٢٥٨ بعد أن قتل آخر الخلفاء العباسيين ، وأصبحت ايران مركز حكم أسرة جديدة من المغول ، وهكذا انقطعت صلة ايران للمرة الثانية ولأول مرة منذ عصور ما قبل الفتح الاسلامى عن بقية بلاد الشرق الادنى وأصبحت مرتبطة سياسيا وثقافيا بوسط آسيا أكثر مما كانت مرتبطة بالبحر المتوسط . وكان حكام المغول فى ايران من البوذيين أو المسيحيين حتى حكم غزان (١٢٩٥ — ١٣٠٤ م) الذى اعتنق الاسـلام . وبالرغم من أن المغول خربوا كثيرا من المدن وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين ، فان اعتلاء غزان العرش ادخل الدولة فى عهد ذهبى جديد ، فأخذت تسود البلاد روح التسامح الدينى . وصار طابع البلاط فى مدينة تبريز العاصمة اسلاميا فارسيا تماما ، وكانت الادارة الرشيدة والرخاء الشامل أهم أهداف الحاكم مع فرض ضرائب عادلة تجمع بانتظام وسن قوانين منسـقة وايجاد أمن داخلى .

وشخصية غزان تعتبر صورة من صور البطولة ، ولكن وزيره الكبير « رشيد الدين » كان أيضا معادلا له فى فضائله . وكان رشيد الدين مواطنا فارسيا ، وكان فى بداية أمره طبيبا محترفا ،

ثم صار بعد ذلك مؤرخ البلاد والمنظم الرئيسي للدولة فى عهدى غزان وأولجاتيو .

وعقب موت الخان أبو سعيد سنة ١٣٣٥ تصدعت الدولة المغولية فى ايران وأخذ عدد من الآمراء والزعمـــاء يحارب بعضهم بعضا منأجل الاستيلاء على أجزاء الدولة ، وكانتالجيوش المغولية قد أصبحت منذ زمن تركية أكثر منها مغولية . ولذلك حينما ظهر تيمور على المسرح ظهر بصفته رئيســا للقوات التركية ، ومع ذلك فقد بدأ حياته العملية يحلم باستعادة امبراطورية جنكيزخان المغولية الواسعة ، وعلى أية حال فقد جاء تيمور الى ايران كفاتح مسلم جاء يحارب ضد الامراء المسلمين .

الدولة التيمورية :

وقد ولد تيمور بالقرب من سمرقند فى عام ١٣٣٣ م ، وهو ابن حفيد رئيس قبيلة برلاس التركية ، فلما أصبح سيدا على اقليم ما وراء النهر ، وجه قوته الجديدة نحو الغرب ففتح خراسان ومازندران وسجستان فى عام ١٣٨٠ واستولى على أذربيجان وجورجيا وغربى ايران فى عام ١٣٨٤ م وغزا اقليم فارس كله فى عام ١٣٩٢ ، ثم سار الى بغداد وسورية .

وكان تيمور مغامرا تفوق على اسلافه فى سياسة الارهاب ؛ وهو معروف بأهرامات الرءوس التى كومها وبالاعمال الوحشية التى كانت تصل الى حد دفن الحاميات التى كانت تقاومه حية .

ولما توفى تيمور لم يكن فى سمرقند من أهل بيته الذين يمكن أن يخلفوه على العرش الا اثنان : حفيده وابن اخته ، وكان ابنه الرابع شاهرخ فى هراة ، فاستطاع أن يظفر بالسيطرة على هراة وخراسان وما وراء النهر بعد منازعات وحروب عائلية استمرت سنة تقريبا ، كما ظفر ابنه الثالث ميرانشاه بالسيطرة على الجزء الغربى من ايران بما فى ذلك تبريز وبغداد ولكنه سرعان ما شغل بالمنازعات بين اثنين من ابنائه .

وفى عام ١٤٠٨ استفادت قبائل « قره قويونلو » من هذا الوضع فاستولت على أذربيجان . وفىعام ١٤١٠ استولى رئيسها قره يوسف على بغداد ، وتمكن ابنه بعد ذلك بسنوات من السيطرة على اقليم اصفهان ، وظل حكام قره قويونلو يحكمون حتى عام ١٤٦٩ الى أن تمكنت قبائل آق قويونلو من هزيمة منافسيها .

وفى الشرق حكم شاهرخ — من عاصمته هراة — جميع أجزاء القسم الشرقى من ايران حتى عام ١٤٤٧ م وهزم قبائل قره قويونلو فى تبريز وطردهم الى أرمينيا ، ولكنه أجبر فى النهاية على تركهم يستولون على الاقليم الغربى من ايران . (١)

اما عن الايرانيين أنفسهم ، فعند ما رأوا الخلافات السياسية تحوطهم من كل جانب وجهوا أنظارهم الى الناحية الدينية ، اى الى جماعات الدراويش والطوائف المختلفة كملاذ لهم من شرور العالم .... ولكن هذا كان له نتائج سياسية هامة .

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ٧٨ و ٧٦

العصر الذهبى للصفويين :

تبع اضمحلال النفوذ التيمورى ظهور قوتين ، الازابكة فى تركستان والصفويون فى ايران ، وكان الأوائل عبارة عن قبيلة تركية ، يبدو أنها تسمت باسم احد المغول فى جنوب روسيا ، وما لبثت أن اتجهت ناحية الجنوب لكى ترث السلطة التيمورية ، وكان أول حكامها فى التاريخ شيبانى خان الذى اتجه الى الهند بعد أن هزمه الازابكة حيث أسس امبراطورية ، وقد عرف خلفاؤه باسم الاسرة المغولية التى حكمت حتى خلع الانجليز آخر المغول فى عام ١٨٥٧ .

أما الصفويون فقد بدءوا كزعماء لجماعة من الدراويش الشيعة فى اذربيجان ، ولكن آمالهم اتجهت الى السياسة حينما فتح ضعف التيموريين أمامهم السبيل الى تكوين امارات صغيرة محلية . وقد نادى زعيمهم اسماعيل بنفسه زعيما لجميع الشيعة واتخذ لنفسه لقب شاه بعد ذلك بثلاث سنوات . وما لم يعمل اسماعيل جاهدا من أجل نجاح المذهب الشيعى فى الاسلام لكان قد اصبح مجرد حاكم محلى فى ايران فى القرن السادس عشر ، ومن الممكن ان يقارن الانسان ظهور الصفويين فى ايران بحركة الاصلاح الدينى فى اوربا لأن الحركتين تتشابهان من بعض الوجوه . وكان اسماعيل يؤمن بضرورة الاستيلاء على مقاليد السلطة السياسية لكى يستطيع غرس الدين الصحيح ، ولم تكن الحركة الصفوية حركة ايرانية قومية ، لأن اسماعيل كان يتكلم التركية ، وكان محبوبا من الاتراك الذين كانوا يسكنون الاناضول ، كما كان محبوبا من الفرس .. ولكن ظهور الدولة العثمانية فى الاناضول وفى العالم الاسلامى جعل

السلاطين العثمانيين حماة للمذهب السنى فى الاسلام ، فى حين أصبح الصفويون والفرس يمثلون الشيعة .

وفى عام ١٥٠٠ هزم اسماعيل قبائل « آق قويونلو » وجلس على العرش فى تبريز ، وحوالى سنة ١٥١٠ م كان قد استولى على العراق وفارس وكرمان وهمدان وخراسان ، وشقت قواته طريقها شرقا حتى بلغت خيوه وأعلن المذهب الشيعى مذهبا رسميا لايران ، واستعمل القوة الغاشمة فى تغيير مذهب السنيين الممتنعين .

وقد انكى التحول الى الشيعة عداوة الاتراك العثمانيين ضده ، وكان سلاطينهم فى القسطنطينية قد صاروا خلفاء على جميع المسلمين السنيين ، وأصبح الشيعة فى ايران يفصلون الكتلة السنية فى وسط آسيا والهند وأفغانستان عن السنيين فى تركيا والعراق ومصر ، والدول الاسلامية الاخرى الواقعة الى الغرب من ايران . (١)

وكان من الضرورى اذن ان تتنازع القوتان العظيمتان ، وفى سنة ١٥١٤ هزم السلطان سليم الشياه اسماعيل ، بفضل الدور الذى قامت به المدفعية العثمانية ، وعلى كل فقد حافظ اسماعيل على الدولة ... وكان الضغط الخارجى عاملا قويا فى توحيد جميع أجزائها واخلاص اهلها للملوك الصفويين والمذهب الشيعى .

وحكم الملك الصفوى الثانى الشاه « طهماسب » من ١٥٢٤ الى ١٥٧٦ ، وتمكن من الاحتفاظ بحدوده الشرقية ، ولكنه قاسى هزائم عدة فى الغرب على يد السلطان العثمانى سليمان القانونى

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ـ دونالد ولبر صفحة ٨٦و٨٧ .

الذى استولى على العراق وتوغل حتى وصل الى تبريز واصفهان، فنقل « طهماسب » عاصمته من تبريز الى قزوين لينجو من التهديد التركى ، وحكم هناك فى بلاط متحضر ، يمتاز بالدقة والجمال .

وبعد مدة وجيزة اعتلى الشاه عباس الاكبر العرش ، وكان عليه أن يخوض معارك كثيرة لكى يقوى حكمه ، ولكنه بعد ان وحد البلاد ، وجه جهده ضد الازابكة فى الشمال الشرقى لأنهم كانوا يغيرون على خراسان ، وبعد أن احرز نجاحا تاما فى هذا الشأن اتجه ناحية الغرب لكى يلاقى أعداءه الالداء أى العثمانيين واستطاع ان يستولى منهم على بغداد سنة ١٦٢٤ .

وهكذا أمن حدود ايران ، واستطاع الشاه بعد ذلك ان يوجه عنايته لتشجيع التجارة والفنون .

ويوجد فى جميع انحاء ايران وحتى فى قلب الصحراء ، آثار مثاوى لمبيت القوافل التى اقامها الشاه عباس ، ويرجع تنظيم معظم الاسواق فى المدن الايرانية وبخاصة فى اصفهان الى الشاه عباس الذى كان يبذل نشاطا كبيرا فى سبيل تنمية التجارة . وقد يكون من أجمل آثاره اصفهان نفسها فقد قام بتأسيس عاصمة فى اصفهان ثم شرع فى عام ١٥٩٨ فى تشييد المبانى الجميلة ، وقد خصص فى وسط المدينة مساحة مكشوفة يبلغ طولها حوالى ١٥٠٠ قدم حيث كانت تمارس لعبة البولو او يقام السباق وكان الملك يحضر هذه المباريات ويشهدها من سرادق كبير هو عبارة عن مدخل حديقته . وعبر الميدان يوجد جامع رائع يعرف باسم جامع الشيخ لطف الله الذى كان صهر الشاه عباس ، ويعتبر المسجد تحفة العمارة الصفوية .

ومن سوء الحظ ان الجانب الاقل نبلا وحكمة فى الشاه عباس قد ظهر فى علاقاته العائلية ، فقد قتل بعض ابنائه ، واهمل تعليم الآخرين وتمرينهم على طريقة الحكم ، حسدا وخوفا من أن يحل أحد محله فى الحكم ، فقوض بذلك مستقبل الدولة الصفوية ، فقد خلفه على العرش سلسلة من الملوك غير اللائقين نسبيا ، حتى راج مثل ايرانى هو « حينما توقف الامير الكبير عن الحياة توقفت ايران عن الانتعاش والرخاء » .

وقد اعقب الشاه عباس الشاه « صفى » والشاه عباس الثانى والشاه سليمان ، فتمتعت ايران تحت حكمهم بسنوات خلت تقريبا من الحروب برغم ان الاتراك العثمانيين كانوا يظهرون نوبات من العداء ، واجتهد هؤلاء الملوك فى زيادة الرخاء العام للدولة ، بيد أنهم كانوا احيانا قساة يستعملون الشدة ، ولكن زمام الامور انتقل بمرور الزمن الى ايدى كبار رجال الدين . وفى أثناء عهد الشاه سلطان حسين من ١٦٩٤ الى ١٧٢٢ م ثارت قبيلة من القبائل الافغانية تسمى غلزاى فى قندهار ، واحرزت استقلالها ثم حذت قبيلة ابادى حذوها فى هراة ، وفى عام ١٧٢٢ قاد محمود بن ميرويس القبائل لفتح كرمان ، وتقدم الى اصفهان ، وحين ذاك نزل الشاه حسين عن الملك وتوج هو بنفسه محموداً ملكا على ايران ، ولكن البلاد سرعان ما انقسمت الى مناطق منفصلة ، فسيطر محمود وخليفته أشرف على اصفهان وفارس وكرمان من ١٧٢٥ — ١٧٣٠ واحتلت روسيا القيصرية السواحل الغربية والجنوبية لبحر قزوين ، وزحف الاتراك العثمانيون على غربى ايران ، ولم يقفوا حتى عقد أشرف اتفاقا وديا معهم .

وقد أثار سقوط اصفهان ثائرة اتباع الصفويين وبخاصة ضابط تركى جمع قواته لطرد الافغانيين ، وقد نجح فى هذا فى سنة ١٧٣٦ وتوج نفسه ملكا ، ولم يكن « نادرشاه » تركيا من قبيلة الافشار فحسب ولكنه كان سنيا أيضا ، وقد اخفق نادر فى محاولاته لاعادة الشعائر السنية فى ايران لأن جذور المذهب الشيعى كانت قد تعمقت فى نفوس الناس لدرجة لم يكن من السهل اقتلاعها ، ولم يقتنع « نادرشاه » باسترجاع الحدود الصفوية ، بل وجه نظره ناحية بلاد أخرى لكى يفتحها .

وفى سنة ١٧٣٩ قام بغزو الهند ، واستولى على غنائم كثيرة من المغول فى دلهى منها الماسة كوهينور الشهيرة وعرش الطاووس الشهير المرصع بالجواهر . ثم توجه بجيشه بعد ذلك الى بخارى وسمرقند ففتحهما وفاز كذلك فى بلاد القوقاز على الجورجيين والروس .

وقد حصل « نادرشاه » على أموال طائلة نتيجة لغزواته . وعين نادر افرادا من اسرته حكاما على اقاليم ايران ، ثم ظن أن مؤامرة دبرت ضده بوساطة ابنه رضا قلى ميرزا ، فأمر بسمل عينيه ، غير أن تأنيب ضميره بعد ذلك دفعه الى القيام بأعمال تدل على الجنون والقسوة ، فكان النظام المفروض على كل من الشعب والجيش قاسيا جدا . وكان عصره يمثل عهدا قصيرا من القوة ، ولكن اهالى البلاد لم يظفروا بأية فائدة من غزواته الخارجية ، وكان جيشه الضخم يعيش بعيدا عن موطنه الاصلى ، لأنه كان يسير من الغرب الى الشرق وبالعكس ، وكانت الضرائب الثقيلة تفرض على السكان ، وقد قتل نادر بيد واحد من ضباطه فى عام ١٧٤٧ فى اثناء الثورات التى قامت فى الاقاليم .

وحكم ابن اعمى لنادر — هو شاهرخ — خراســـان من عام ١٧٤٨ الى ١٧٩٦ م ، ولكن حدث فى هـــذه المدة أن ظفر الافغان باستقلالهم ، وتمزق غربى ايران بوساطة الحروب الداخلية ، وسقط فى ايدى دولتى الزنديين والقاجاريين ، فصار كريم خان رئيس الزند — وهى القبيلة البدوية المتنقلة فى اقليم فارس — سيدا على اصفهان وشيراز وأغلب الجزء الجنوبى من ايران ، ونجح فى صد القاجاريين ، وتلقب بلقب وكيل أو نائب الملك متخفيا بذلك وراء اسم أحد الصفويين الضعاف ، واســـتمر فى الحكم من ١٧٥٠ الى ١٧٧٩ ، فزين عاصمته شيراز بالقصور والمساجد والحدائق والسوق الطويلة المسقوفة ، ولا تزال المدينة تحتفظ بجزء كبير من طبيعتها المعمارية التى سادت فى ذلك العصر .

الدولة القاجارية :

أما القاجاريون ، فكانوا احدى القبائل السبع التى ساعدته الشاه « اسماعيل » أول ملوك الصفويين ، وقد انخفض شأنها فى عهد « نادرشاه » ولكنها ظهرت على المسرح فى مازندران بعد وفاته ، وقد وجد القاجاريون قائدهم الاعظم فى شخص آقا محمد خان ، الذى وحد فروع القبيلة وقوى أمره فى عام ١٧٧٩ ، فاستولى على ايران وأصبح أول ملوك الدولة القاجارية (١) ، وهو نموذج من نماذج الطغاة المتعطشين للدماء (٢) وقد هاجم آقا محمد فى الجنوبى قوات لطفعلى خامس الزنديين واضطره الى اللجوء الى كرمان ثم قبض عليه وعذبه حتى مات ، وعاقب أهل كرمان ، فأمر بسمل أعين ٢٠٠٠٠ من سكانها ، ولكنه لم يلبث ان قتل هو نفسه فى عام ١٧٩٧ ، وكان قد ظفر بالسيطرة على جميع ايران بالاضافة الى جورجيا . وكان ابن اخيه وخليفته فتحعلى شاه الذى حكم من ١٧٩٧ الى ١٨٣٤ رجلا ذا اخلاق تختلف عنه تماما ، وكان عهده فاتحة قرن تمتعت فيه ايران بمزيج من الهدوء والسلام النسبيين... ولكنها قاست فيه انهيارا خلقيا وسياسيا ، وفى أثناء حكمه بدأت روسيا وغيرها من الدول التى لها مصالح فى المنطقة فى التدخل فى الشئون الداخلية لايران وحددت بذلك معالم مرحلة من مراحل تاريخ ايران الحديث .

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ـ دونالد ولبر صفحة ٩٦ .

(٢) Iran, Richard N. Frye P. 62.

الفصل الثالث

القومية الحديثة والتنافس الدولي على إيران



لقد ظلت ايران تخضع مدة طويلة ــ كغالبية بلاد الشرق الاوسط ــ للافكار والانظمةوالتقاليد التىسادت فى العصور الوسطى ، ولما بدأت تخرج من ظلام الماضي وتستقبل طلائع العصر الحديث ، كان الضغط الاوربى قد أخذ فى التغلغل فيها حتى وصل الى طهران العاصمة . (١)

وكان تهديد نابليون للهند هو الذى اثار اهتمام بريطانيا بايران ، ولكن الروس كانوا يحلمون بمنفذ لهم الى البحار الجنوبية منذ أيام بطرس الاكبر . وكانت جيوش بطرس قد تغلبت على باكو سنة ١٧٢٣ ووصلت القوات الروسية حتى الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين، ولكن الروس انسحبوا تحت حكم خلفاء القيصر الى شمال القوقاز ، ثم استأنف الروس تقدمهم تحت حكم القيصر بول الذى عرض عليه عرش جورجيا سنة ١٨٠٠ . بعد موت آخر حكام هذه الدولة الصغيرة ، وقد قبل القيصر هذا العرض . وقد كون القيصر قوة حربية لكى يفرض سلطته على جورجيا ، وسرعان ما دخل فى نزاع مع ايران . (٢)

وهكذا دخلت ايران فى نطاق الاهتمام الاوربى منذ وضع بطرس الاكبر قيصر روسيا قواعد السياسة

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ــ حسين فوزى النجار صفحة ٣٤٤

(٢) Iran, Richard N. Frye PP. 63-64.

الروسية فى التوسع والامتداد والوصول الى البحار المفتوحة والمياه الدفيئة ، وأصبحت هذه القواعد عقيدة سياسية اعتنقها قياصرة روسيا من بعده ، واضحت قاعدة أساسية فى سياسة روسيا الخارجية ، وأخذ الروس منذ ذلك الوقت يتوسعون فى قلب آسيا ويستولون من أطراف ايران الشمالية الى الغرب من نهر آرسي ، ويحاولون التسرب عبر أراضيها الى مياه الخليج العربى . (١)

وفى عهد فتحعلى شاه بدأ الاتصال المباشر بالدول الاوربية ، فعقدت معاهدة تحالف بين فرنسا وايران فى عام ١٨٠٧ ، وتوقع نابليون ان نفتح هذه المعاهدة أمامه طريق الغزو الفرنسي للهند عن طريق البر فى مقابل ان تمد فرنسا ايران بالاسلحة ، وتستقبل بعثة عسكرية لتدريب جيشها لتتمكن بذلك من مقاومة روسيا القيصرية التى ضمت جورجيا فى عام ١٨٠١ . (٢)

وكان البريطانيون أول من عقدوا معاهدة مع فتحعلى شاه ، وقد أخذ سير جون مالكولم ممثل شركة الهند الشرقية يتفاوض من أجل عقد معاهدة تجارية لكى تساعد الانجليز ضد الفرنسيين اذا وصلوا الى ايران . وعلى كل لم يعمل البريطانيون شيئا فى سبيل ابرام المعاهدة ولم يبدوا أى اهتمام بها لأن الفرس كانوا يخافون الروس أكثر مما كانوا يخافون الفرنسيين فى حين كانت بريطانيا تأمل فى أن تنشد عون الروس ضد نابليون ، ولذلك بقيت المعاهدة معلقة .

ولكن التقارب الذى حدث بين نابليون الاول والقيصر اسكندر الاول اعطى البريطانيين فرصة أخرى ، فقد ظلوا هذه المرة فى

(١) السياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط ـ حسين فوزى النجار صفحة ٣٤٤ .

(٢) ايران ماضيها وحاضرها ـ دونالد ولبر صفحة ٩٧

ايران . . . وكانت البعثات البريطانية الى ايران مكونة من بعض مشاهير الرجال ، وكانت النتيجة ان ظهرت عدة كتب اثارت اهتمام البريطانيين الى ايران . وكتاب حاجى بابا الاصفهانى الذى كتبه جيمس مورير أحد نتائج طلائع هذه البعثات الدبلوماسية . (١)

وبعد وقت قصير حل الروس محل الفرنسيين فى تهديدهم للهند ، واستطاعوا بعد سلسلة من الحملات الصغيرة فى المناطق الواقعة عبر جبال القوقاز ان يتغلبوا على الجيش الايرانى ،ووقعت معاهدة جولستان سنة ١٨١٣ التى أخذت روسيا بمقتضاها معظم البلاد الواقعة عبر القوقاز وكذلك الحق المطلق فى الاحتفاظ بأسطول فى بحر قزوين ، وساد السلام حتى سنة ١٨٢٥ حينما احتلت القوات الروسية مقاطعة من المقاطعات الواقعة عبر القوقاز لم تنص معاهدة جولستان على ان يأخذها أى من الطرفين ونشبت الحرب بينهما ، وبعد أن احرز الايرانيون عدة انتصارات فى بادىء الامر ، اكتسح الروس كل شيء أمامهم واحتلوا تبريز سنة ١٨٢٧ وكانت القـوات الايرانية تبلى بلاء حسنا ، ولكن ضعف القيادة ونقص المؤن وفساد الحكومة جعل اية مقاومة أخرى تبدو غير مجدية. . .ووقعت معاهدة التركمان التى رسمت الحدود الحالية بين ايران وروسيا ونصت على التعويضات التى تدفعها الدولة المغولية ، كما خولت الرعايا الروس فى ايران امتيازات من بينها عدم خضوعهم للقضاء الايرانى فى حالة قيام نزاع بينهم وبين غيرهم ، والواقع أنها اعطت القناصل الروس وحدهم المسئولية عن رعاياهم فى دولة اجنبية ، كما نصت المعاهدة على حق السفن الروسية فى الرقابة الحربية على بحر قزوين ، ومنح روسيا كثيرا من الامتيازات،واعطى ملحق للمعاهدة — عقد بعد ذلك — روسيا حقوقا اقتصادية وجمركية خاصة .

---

(١) Iran, Richard N. Frye P. 64.

ومنذ ذلك الوقت الى القرن العشرين ، اصبحت ايران موزعة بين المصالح المتعارضة لروسيا وبريطانيا ، فكانت روسيا تبنى سياستها على أساس التوسع فى آسيا ، وتطمع فى أن تكون لها ميناء فى المياه الدافئة فى الخليج العربى ، فى حين حاولت بريطانيا جهد طاقتها للسيطرة على الخليج العربى وجميع الاراضي المجاورة للهند اعظم مستعمرة ظفرت بها (١)

وهكذا سارت سياسة ايران ، وهى تتأثر بتنافس كل من انجلترا وروسيا القيصرية ، فطورا تميل الى السياسة الانجليزية وتهادنها وطورا تميل الى جانب روسيا وتشايعها ... وفى كل حالة كانت سياسة ايران على أراضيها تتهاوى تحت وطأة نفوذ كل منهما (٢)

ويعتقد الكثير من الايرانيين بأن معاهدة التركمان تعتبر بداية مرحلة جديدة فى تاريخ ايران ، فقد أفقدت ايران استقلالها وجعلتها العوبة فى يد السياسة الانجليزية الروسية ، وسارعت بعد ذلك الدول الاوربية الأخرى تحذو حذو الروس فى الحصول على امتيازات ، وبدا الامر ، وكأن الحكومة الايرانية قد اصبحت مجردة من كل سلطة فى ممتلكاتها .

أما بقية فصول القصة فى القرن التاسع عشر ، فتحكى قصة تقدم الروس فى أواسط آسيا والتحركات المضادة التى قامت بها بريطانيا فى افغانستان وايران . وكان الدبلوماسيون الانجليز والروس ينافس بعضهم البعض فى سبيل كسب ثقة الحاكم الذى كان طمعه سببا فى تسهيل مهمتهم وعند موت « فتحعلى شاه » سنة ١٨٣٤ اعتلى العرش محمد شاه حفيد الشاه السابق ، وبذل

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ٩٧ .

(٢) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط — حسين فوزى النجار صفحة ٣٤٥

جهده لتحسين الحالة الداخلية للبلاد ، وقد خطبت روسيا فى أثناء عهده ود ايران حتى تتمكن من تدعيم نفوذها فيما احرزته من ولايات القوقاز وتركستان . وقام محمد شاه بعدة محاولات فاشلة للاستيلاء على هراه من الافغان ، الامر الذى قابله البريطانيون فى الهند بمعارضة شديدة . وعلى كل استطاع الجيش الايرانى سنة ١٨٦٥ ابان حكم « ناصر الدين » شاه أن يستولى على هراه مما جعل بريطانيا تعلن الحرب على ايران وقواتها المرابطة فى الجنوب ، وبعد قتال قصير الامد توقفت الحرب وجلت ايران عن هراه واقلعت عن كل مطالبها فى افغانستان بمقتضى معاهدة باريس التى ابرمت فى عام ١٨٥٧ ، وقد منحت هذه المعاهدة أيضا امتيازات اجنبية وحقوقا تجارية خاصة لبريطانيا .

ومنذ ذلك الوقت اتخذ التنافس بين روسيا وبريطانيا على المسرح الإيرانى صـورة التدخل الاقتصادى ، وتطلب النشـاط الصناعى المتزايد ، الذى ظهر فى الغرب للحصول على المواد الخام وعلى الاسواق الجديدة لتصريف المنتجات المصنوعة ، فنظر الى اقاليم بعيدة معينة على انها مجال للغزو الاقتصـادى الذى تطلب بدوره شيئا من التدخل السياسي ، وقد طبقت هذه السياسـة فى ايران فى صورة التنافس فى الحصول على الامتيازات .

واستمر البلاط الملكى المستبد فى ايران يحكم كسالف عهده دون مبالاة بأفكار التحرر الجديدة التى انتشرت فى الخارج والتى جلبها كثير من الايرانيين الذين سافروا الى اوربا أو عاشوا فيها مدة ثم عادوا الى ايران .

وقد حدث أول فتح اقتصادى اجنبى فى ايران على يد البارون يوليوس دى رويتر الذى حصل سنة ١٨٧٢ على امتياز ضخم لاحتكار انشاء السكك الحديدية واستغلال المناجم وتأسيس بنك فى

ايران وقد حصلت بريطانيا عن طريق رويتر على هذه الامتيازات لمدة سبعين سنة ، كما حصلت على الحق فى أن تشرف على الاعمال الجمركية لمدة أربع وعشرين سنة .

ولما قام « ناصر الدين » برحلته الاولى الى اوربا فى السنة التالية ، استقبل بفتور شديد فى روسيا ، فألغى الامتياز عقب رجوعه ، ومع ذلك فقد عاد فى سنة ١٨٨٩ فاسترضي رويتر بمنحه حق انشاء المصرف الامبراطورى لايران ، وفى عام ١٨٩٠ منحت شركة انجليزية حق احتكار الطباق والدخـــان . ولكن الزعمـــاء الدينيين للبلاد قادوا موجة من الســـخط عليها ، فأعلنوا تحريم استعمال الطباق فى ايران حتى الغى حق الاحتكار ، كما جدت بريطانيا أيضا بعد عام ١٨٦٣ فى انشـــاء خطوط البرق فى جميع الاجزاء الغربية من ايران .

ولم تقف روسيا مكتوفة اليدين أمام هذه الاحداث ، ففى عام ١٨٧٩ وافق ناصر الدين شاه على انشاء لواء من القوازق الفرس على النمط الروسي على أن يدربه ويقوده ضابط من الروس وأعدت هذه القوات سريعا فى طهران وفى بعض المدن الشمالية الاخرى ، كما فتح مصرف روسي فى طهران فى عام ١٨٩١ . وفتحت السفارة الامريكية فى طهران فى عام ١٨٨٢ ... وظفرت خمس عشرة دولة اجنبية على الاقل بحقوق وامتيازات اجنبية لرعاياها المقيمين فى طهران فى المدة التى تقع بين ١٨٥٥ — ١٩٠٠ . (١)

وهكذا اتسمت الفترة الاخيرة من القرن التاسع عشر بالضغط الانجليزى الروسي على البلاد وتغلغل النفوذ الاجنبي والانهيار المالى الذى اصاب ميزانية الدولة نتيجة لاسراف الشاه . والقروض

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ــ دونالد ولبر صفحة ١٠٠ ــ ١٠١

العدة التى عقدها مع البنوك المالية فى كل من روسيا وانجلترا وما تبع ذلك من تغلغل نفوذ الدولتين فى مرافق البلاد الداخلية .

وكان حريا بهذا الضعف الذى اصاب ايران فى عهد ناصر الدين شاه أن يفقدها استقلالها ، ولكن تنافس الدولتين عليها قد حفظه لها وان لم يمنع تغلغل نفوذهما فيها ... الا ان هذا التدخل الاجنبى فى شئون البلاد كان سببا فى اتجاه الحركة الشعبية الى اصلاح اداة الحكم وتخليص البلاد من النفوذ الاجنبى وامتيازاته العدة . (١)

ثم جد عامل آخر كان سببا فى قوة الحركة الشعبية وعراقتها ووضوح مناهجها وغاياتها ، وهو قدوم السيد جمال الدين الافغانى الى ايران .

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ـ حسين فوزى النجار صفحة ٣٤٦ .

جمال الدين الافغانى :

افغانى الاصل شريف النسب ، ينتمى الى الحسن بن على ، وقد فهم السيد جمال رسالته وما تقتضيه من اعباء ، فلم يستعبده مال وعاش لافكاره ومبادئه . وقد طاف الافغانى بفارس والهند والحجاز والآستانة واقام فيها ، ولكن اخصب زمنه وانفع أيامه ما كان فى مصر مدة اقامته بها من عام ١٨٧١ الى ١٨٧٩ ، ثمانى سنين كانت من خير السنين بركة على مصر ، وعلى العالم الشرقى بما بذره من بذور نمت وازدهرت من بعده ، ويكفى أن نذكر من تلاميذه ومريديه لكى نتفهم مدى عمقه وتأثيره فى مصر أسماء مثل محمود سامى البارودى وعبد السلام المويلحى ومحمد عبده وابراهيم اللقانى وسعد زغلول وأديب اسحق وغيرهم . وكان مثله الاعلى اقــامة حكومة اسلامية واحدة تأتم بالاسلام وتعاليمه ، ولما رأى انه ليس فى الامكان خضوعها لرئيس واحد حين ذاك اكتفى بالدعوة الى أن ترتبط أجزاؤها بروابط محكمة ويكون لها مقصــد واحد ، وتحكم الاقطار كلها بحكومات اساسها العدل والشورى واختيار خير الناس لتولى الامور .

وتوجه السيد جمال الدين الافغانى الى ايران بناء على دعوة من الشاه ناصر الدين ، وهناك تلقاه الشاه والعلماء فى حفاوة ، ولكن سرعان مادبت الغيرة فى نفس الشاه واحس خطره ، فتنكر له ، فاستأذن السيد فى الرحيل ورحل الى سان بطرسبرج عاصمة روسيا حين ذاك ، واقام بها نحو ثلاث سنين من ١٨٨٦ — ١٨٨٩ . ويبدو أن الافغانى قد اتجه الى روسيا لتحقيق امرين : اولهما حال

المسلمين الروسيين وعددهم نحو ثلاثين مليونا ، وكانوا يعاملون فى عهد القيصرية معاملة ظالمة جائرة ، فلعله حاول الاتصال برجال الحكم اذ ذاك كى يلطف من ظلمهم ويخفف من جورهم ، وقد عرف عنه انه سعى عند القيصر فى طبع المصحف وبعض الكتب الدينية للمسلمين الروس فأذن له فى ذلك . وثانيهما ما كان لروسيا من أثر كبير فى سياسة الشرق ومناهضتها للسياسة الانجليزية فى آسيا وضغطها الشديد على الدولة العثمانية والعمل على تقطيع اوصالها .

وعلى كل حال انغمس السيد الافغانى فى أثناء اقامته فى روسيا فى السياسة الدولية وحرض روسيا على سياسة انجلترا ، ونشر فى الجرائد الروسية مقالات فى السياسة الافغانية والفارسية والعثمانية والروسية ، ونقد السياسة الانجليزية ، وقابل القيصر فسأله عن آرائه فى الشرق ، ثم سأله عن سبب خلافه مع الشاه ، فأجاب الافغانى بأن سبب الخلاف مطالبته بالحكومة التى تعتنق مبدأ الشورى ، فقال القيصر : الحق مع الشاه ، فكيف يرضي ملك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته ؟ فقال السيد : اعتقد يا جلالة القيصر انه خير للملك ان تكون ملايين رعيته اصدقاءه من أن يكونوا اعداءه يترقبون له الفرص . فلم يعجب القيصر هذا الحديث وقام علامة على الاذن له بالانصراف .

ثم سافر السيد الى أوربا على نية ان يزور معرض باريس سنة ١٨٨٩ ، وفى أثناء سفره من روسيا الى باريس نزل ميونيخ فى ألمانيا ، وتقابل مع الشاه ناصر الدين ، فعرض عليه العودة معه الى ايران ، واعتذر اليه عما كان ، ووعد ان يمهد له طريق الاصلاح الذى يقترحه ، فرفض السيد أولا وقبل أخيرا .

وفى طهران التف حول الافغانى جمهور من العلماء والعظماء وتبلور فيه ما فى نفوس الخيرين من ميل الى الاصلاح ، فسعى هو

ومن التف حوله الى وضع المشروعات فى اصـــلاح الادارة واقامة العدل وتقنين القوانين وفوق ذلك تنظيـــم الحكم النيابى للبـــلاد ، والحركة تشتد وتمتد ، والشاه يظهر الاستعداد لقبول هذه المطالب والنفوس العاملة تفرح بقرب النصر والامل فىالخير ، ولكن سرعان ما اكفهر الجو وأنذر بالصواعق ، فقد وسوس الصدر الاعظم فى تركيا للشاه بأن الحكم النيابى يسلبه سلطانه ، والنظام الادارى والقانونى المقترح أعلى من مســـتوى الناس ونحو ذلك من مقالات السوء التى سمعنا ونسمع مثلها فى كل مكان وزمان يدور فيهما النزاع بين دعاة الاصلاح والتقدم ودعاة الرجعية والهزيمة .

فتجهم الشاه ، وأحس السيد الافغانى الخطر منه ، فخرج الى مقام «عبد العظيم» أحد حفداء الائمة ـــ على بعد نحو عشرين كيلو متر من طهران ـــ واهل ايران يعدون مقـــامه حرما من دخله كان آمنا ، واتخذه السيد مركزا لدعايته وخطبه ولاثارة الراى العـــام لطلب الاصلاح ، وبعض العلماء والوزراء والضـــباط يحجون اليه ليســـمعوا خطبه ويصـــغوا الى آرائه ، ويعودوا وقد شحنوا قوة كهربية بقدر تحملهم للشحنة ، وكلهم ثائر يريد الاصلاح ، واقام على ذلك اشهرا والبلاد يزداد غليانها ، ومركز الشاه والحاشية يزداد خطرا والمنشورات السريةتصل الى الشاه وتهدده بالعدل أو العزل وبالحكم النيابى أو تولية غيره .

فما راع السيد الا خمسمائة جندى مســـلحون يهجمون عليه غير حافلين بحرم الشيخ عبدالعظيم ولا بمرض السيد مرضا شديدا وسحبوه على الثلج الى دار الحكومة بهوان لا يمكن ان يتصور دونه فى الشناعة ، ومنها سافر الى البصرة يعانى الم المرض الذى اشتد عليه من هذا الحادث ، وكاد يودى به لولا لطف الله .

وقد كان لذلك كله نتائج بعيدة المدى ، فكيف يهان هذا الهوان السيد الافغانى العـــالى المنزلة فى دينه وشرفه وعقله ورغبته فى

الخير ؟ كيف يرجوه الشاه ان يأتى الى بلده ويعده أن ينفذ اصلاحه ثم يعامله معاملة العبيد ؟

لقد آلى أن ينتقم منه شر انتقام ، والا تهدأ نفسه حتى ينزله عن عرشه ، وقد بر فيما أقسم ، فأخذ يكتب الى علماء الدين المسموعى الكلمة يهيجهم على الشاه ويصفه بأقبح الصفات ويبين ضرره على الأمة ويثير عاطفتهم الدينية ، ليثيروا عليه الشعب . وكان الشاه قد تعاقد مع شركة انجليزية — كما قلنا — على احتكار الطباق فانتهز الفرصة وأبان الضرر على الأمة من هذا الاحتكار ، وأهاب برجال الدين أن يذودوا عن وطنهم ، فاستمعوا اليه وثاروا على الشاه ، وأثاروا عليه بقية الناس ، حتى اضطر الى فسخ العقد ، ودفع نصف مليون ليرة تعويضا للشركة ، فكانت هذه أول خطوات الانتقام (١) .

وقد دل اغتيال الشاه فى سنة ١٨٩٦ على وجود معارضة شديدة ضد الحكم المطلق ، وقد شاع ان القاتل كان من اتباع المصلح الشهير السيد جمال الدين الافغانى الذى كان يحاول أن يجدد ويحرر الاسلام وان يضع حدا للطغيان التقليدى (٢) .

وتولى العرش مظفر الدين ابن الشاه السابق من عام ١٨٩٦ الى ١٩٠٧ ، وكان قد امضى شبابه فى البحث عن الملذات عندما كان فى تبريز ، فلما تولى الملك لم يظهر اى اهتمام صادق بمهام الدولة ، وتكلفت رحلاته الى اوربا مبالغ طائلة ، تركت الخزانة خاوية على الدوام ، واخذ الامراء ورجال البلاط يكدسون الثروات فى وقت لا يستطيع الموظفون العموميون فيه الحصول على مرتباتهم ، وكانت العقارات الكثيرة فى أيدى عدد قليل من الملاك ، فى حين كان

---

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث — أحمد أمين صفحة ٩٨ القاهرة ١٩٤٨ م

(٢) Iran, Richard N. Frye P. 67.

الفلاحون يبيتون على الطوى ، وتهدمت وسائل الري ، وزحف الجدب على القرى والحقول ، واخيرا ادى احتياج ايران الى المال الى ان تطلب قرضا من روسيا فى عام ١٩٠٠ قدره ٢٢٠٠٠٠٠٠ روبل بفائدة قدرها ٥ ٪ ، وكان من بين شروط القرض ان يستعمل جزء منه فى تسديد جميع القروض المستحقة للدائنين الاجانب ، والا يكون لايران الحق فى الاقتراض من اية جهة بدون موافقة روسيا الى أن يتم تسديد القرض ، وقد ضمنت الجمارك الايرانية اداء القرض ، وفى الوقت نفسه ، تجدد بين ايران وروسيا اتفاق سرى قديم ، ينص على عدم اعطاء الاجانب إمتيازات بانشاء السكك الحديدية قبل موافقة روسيا ، واخذت روسيا تنشىء الطرق لسير العربات فى الولايات الشمالية من ايران .

ولم يبق من هذا القرض الروسي بعد دفع نفقات زيارة الشاه لأوربا فى عام ١٩٠٠ ، وسداد قرض المصرف الامبراطورى وتسوية بعض الالتزامات الاخرى الا مبلغ ٦٠٠٠٠٠٠ روبل فقط ، فطلبت ايران — على الفور — قرضــا آخر ، فبادرت روسيا بتقديم مبلغ ١٠٠٠٠٠٠٠ روبل ، وبادر مظفر الدين بالسـفر الى أوربا على الفور أيضا ، وفى عام ١٩٠١ أبرمت روسيا وايران اتفاقية جمركية نصت على فرض رسوم جمركية بسيطة على البضائع الواردة من روسيا ، وعلى فرض رسوم جمركية مرتفعة على البضائع الواردة من الدول الأخرى . (١)

وكان سخط الشعب منصبا على رئيس الوزراء واتباعه اكثر مما كان منصبا على شخص الشاه نفسه ، ولذلك فان المظاهرات والاضطرابات التى قامت فى بادىء الامر كانت تهدف الى طرد رجال البلاط المغضوب عليهم . . . وأخيرا صار الجو مهيئا للتغيير ، فأخذت

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ١٠٢

الثورة اللظفر بالدستور تظهر قوية مفاجئة ، ولكن جذورها فى الحقيقة كانت قد تأصلت فى نفوس فريق متعلم من الشباب الذين اتصلت ثقافتهم بالافكار التحررية التى سادت فى بلاد الغرب ، وعضد التجار وبعض رجال الدين والاشراف هذه الحركة الدستورية على أمل أن تهيىء لهم مزايا مادية أو سياسية . وفى يولية عام ١٩٠٦ تجمع التجار وغيرهم من سكان طهران وقصدوا دار السفارة البريطانية ليكونوا فى مأمن من الاعتقال ، وترك رجال الدين المدينة ، وشل بذلك النشاط الاقتصادى والاجتماعى فيها مما جعل الشاه يعد بالقيام بالاصلاحات ، وتجدد الضغط عليه مرة اخرى فأعلن الدستور فى اغسطس سنة ١٩٠٦ ، واجتمع المجلس المنتخب فى اكتوبر من السنة نفسها وقد مثلت فيه طوائف رجال الدين والتجار والاعيان ورجال الاعمال ، ولم يلبث مظفر الدين حتى مات ، ولما يمض ثلاثة شهور على افتتاح المجلس ، وارتقى العرش بعده محمد على شاه .

فما هو موقف محمد على شاه من الدستور ؟

لم يكن محمد على شاه فى قرارة نفسه يؤمن بالنظم الدستورية وكان يعتقد انها تؤدى الى الانتقاص من سلطانه ، فبيت النية على تعطيل المجلس النيابى والغاء الدستور ، ولم يرده عن تنفيذ عزمه عام ١٩٠٧ الا قوة الراى العام الذى اخذ يتمثل فى الاحزاب السياسية التى نشأت بعد اعلان الدستور ، والصحف التى انتشرت فى البلاد تغذى الراى العام وتنميه ، هذا بالاضافة الى عطف رجال الدين على الحركة الوطنية وتشيعهم لها ، وفى هذه الأثناء أعلن نبأ عقد الاتفاقية الانجليزية الروسية فى عام ١٩٠٧ . وكانت بريطانيا فى تلك الأثناء تساعد الدستوريين فى المطالبة بوضع حد لمؤامرات الروس ونفوذهم فى البلاط الايرانى ، وكانت روسيا قد خرجت حديثا من حرب فاشلة مع اليابان ، كما كانت بريطانيا تحس بوجود

تهديد جديد فى شكل خطة المانية تهدفه الى انشـــاء خط حديدى يعبر بلاد الشرق الادنى الى الخليج العربى ، فعرضت على روسيا عقد اتفاقية ، تســـاعد على صد المطامع الالمانية وعقدت روســـيا وبريطانيا معاهدة فى عام ١٩٠٧ تضمنت نصوصـــا تتعلق بايران وافغانســـتان . ففيما يتعلق بايران اتفقت الدولتان على احتـــرام سيادتها واســـتقلالها ، الا انه بعد ذلك ــ وطبقا لهذه الاتفاقية نفسها ــ انشئت منطقتا نفوذ ، منطقة روســـية واخرى بريطانية تفصلهما منطقة محايدة وكان على كل دولة منهما الا تشـــترك فى النشاط الاقتصادى أو السياسي فى منطقة النفوذ الخاص بالدولة الأخرى ، وقد حصل الروس على نصيب الاسد ، فقد حصلوا على شمال ووسط ايران حتى اصفهان فىحين رضي البريطانيون بجنوب شرقىايران بما فيه كرمان وبندر عباس ، وكان حقل البترول الجديد فى المنطقة المحايدة .

ولم يستشر الايرانيون بطبيعة الحـــال فيما يختص بالاتفاقية الانجليزية الروسية ، وكان من نتيجة هذا ان ساءت سمعة بريطانيا التى لم تتحسن عقب الحرب العـــالمية الاولى أو حتى فى الوقت الحاضر . وقد ساء الوضـــع السياسي داخل ايران ، لان الشـــاه شعر بأنه يســـتطيع ان ينفذ ســـياسته معتمدا على تأييد الروس السرى له ان لم يكن معتمدا على تأييدهم العلنى .

وكانت القوة العسكرية الرئيسية فى ايران فى ذلك الوقت هى فرقة القوازق التى كان يدربها ويشرف عليها الضباط الروس . وفى يونية سنة ١٩٠٨ أصدر الشـــاه أوامره الى تلك الفرقة بأن تفض المجلس وتشتت أعضاءه ، فقام الجنود بتنفيذ هـــذه المهمة ، بقيادة الكولونيل لياكوف وأعلنت الاحكام العرفية ونفذ حكم الاعدام فى غلاة المعارضين للشاه . وكانت طهران فى قبضة الشاه ، ولكن الشعب فى تبريز قام بثورة وطرد اتباع الشاه من المدينة ، فضربت

قوات الشاه الحصار حول المدينة ولكن الحصار رفع فى الربيع حينما دخلت القوات الروسية المدينة بدعوى حماية الاجانب هناك ، وقد أمكن للقوات الروسية اخضاع الثوار . وتجمعت قوات ثورية اخرى فى رشت واصفهان وكانت قوة من اصفهان قوامها ٥٠٠٠ بختيارى بقيادة أحد القواد القبليين قد تقدمت الى طهران وهزمت فرقة القوازق الايرانية خارج المدينـــة ثم دخلت قوات الثورة الى المدينة فى يوليه ســـنة ١٩٠٩ . وفى هذه الاثناء اجتمع مؤيدو الدستور فى انحـــاء متفرقة من البلاد للزحف على طهران واعادة الدستور واعادة انعقاد المجلس ، ثم عزلت قوات الثوار الشاه عن العرش فلجأ الى السفارة الروسية ، ثم هرب الى روسيا ، وعين البرلمان الذى أعيد من جديد ابنه أحمد شاه ملكا على ايران ، ولكن بعد أن أصبح المجلس هو الحاكم الفعلى للبلاد .

ولم تكن الوزارات الاولى محنكة أو ناجحة ، لأن البلاد كانت تعانى حالة اقتصادية تعسة ، ولم يكن القانون والنظام مستتبين فيها ... [٩]

ولكى تحل الحكومة الايرانية الصعوبات الاقتصادية ، لجأت الى استئجار مستشار مالى أمريكى ســـنة ١٩١١ ، وهو مورجان شستر الذى كان موظفا بوزارة الخزانة ، ولـــكنه لجأ الى ايران بصفة شخصـــية . وقام شســـتر بتنظيم جماعة مهمتهـــا تحصيل الضرائب كما كان يأمل فى القيام باصلاحات عدة ، ولكنه أثار حقد الروس الذين طالبوا بطرده ، ورفض المجلس بادىء الأمر ، ولكن الروس بدءوا فى الزحف من تبريز الى طهران ، ومن ثم استجابت الحكومة الايرانية وأرسلت شستر الى بلاده ومن الصعب أن نعرف مدى قوة مركز الروس فى ايران قبل الحرب العالمية الاولى ، فقد كانوا يسيطرون ســـيطرة فعلية على الجزء الشـــمالى من البلاد ، وليس من السهل كذلك أن ينسي الايرانيون أن شعب تبريز هاجم

القوات الروسية احتجاجا على الاجراء الروسي فى مسألة شستر ولم يعاد الروس الشعب فحسب ، بل قاموا بشنق عدد كبير من الزعماء الوطنيين علنا انتقاما لهذا الهجوم ، وفى السنة التالية قذفت القوات الروسية مزار الامام على الرضا فى مدينة مشهد بالقنابل بحجة ان بعض الايرانيين المعادين للروس قد تجمعوا هناك ... وهكذا برغم اعلان الدستور وقيام الحياة النيابية فى ايران ، فانها ظلت نهب الفوضي والارتباك لتغلغل نفوذ الدولتين المتنافستين عليها ، وكذلك لسوء أحوالها المالية ، حتى اذا قامت الحرب العالمية الاولى أعلن الشاه حياد بلاده ولكنها لم تسلم من أوضار هذه الحرب وآثارها المقيتة ، تزادت حالتها سوءا على سوء .

الفصل الرابع

إيران والحرب العالمية الأولى



شهدت السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر تقدم الوعي الانساني وغلبته ، وتقرير حقوق الانسان وحرياته ، كما تقدمت الفكرة الدولية ، وظهرت حاجة المجتمع الدولي الى الترابط والتآخي والتعاون ، فكانت المؤتمرات الدولية لتبادل المعونة ودعم أواصر الوحدة العالمية ومنع الحروب وتحقيق الرفاهية للانسانية جمعاء ... وفي تيار هذه النزعة العالمية للتعاون ، بقيت النزعة القومية سائدة ومصلحة الدولة تقضي على كل ما عداها من مصالح مشتركة .

وكان للانقلاب الصناعي أثره في احتدام التنافس العالمي حول مواطن الخامات ومصادر الانتاج وأسواق الاستهلاك فنشطت القوى الاستعمارية وكانت مثار الازمات السياسية والحروب الدامية .

وقد حفلت السنوات القلائل التي سبقت الحرب العالمية الاولى بالازمات السياسية التي اتخذت طابعا عنيفا كاد يلهب شرارة الحرب ويدفع العالم الى الكارثة المنتظرة ، فان الاتجاهات الدولية وتشعب المصالح والاهداف وحمى التسلح التي شملت كل الدول الكبرى كانت تؤذن بما ستكون عليه الحرب القادمة من شمول واتساع وفتك مروع ... وانقسمت أوربا الى معسكرين يتأهبان للساعة الرهيبة باعداد أسلحة الدمار واخفقت كل دعوة للسلام .

وفى الثامن والعشرين من يونيه سنة ١٩١٤ أغتيل ولى عهد النمسا وزوجته فى سيراجيفو بيد طالبين صربيين ، وكانت الصرب على خلاف مع النمسا ، ولم يمر شــــهر على الحادث حتى بدات الحرب العالمية الأولى ... بدات بكل اهوالها واخطارها ، فقــد زحفت جيوش النمسا نحو بلغراد وهبت الروسيا تدافع عن الصرب وتحمى مصالحها فى البلقان ، وقامت المانيا لنجدة حليفتها النمسا ، ووقفت فرنسا الى جانب روســـيا ، واخترقت الجيوش الالمانية الاراضي البلجيكية لمهاجمة فرنسا وأعلنت انجلترا الحــرب على المانيا دفاعا عن حياد البلجيك، وهى فى الحقيقة تدافع عن مصالحها وبهذا اشتبكت دول الوسط أو دول التحالف الثلاثى مع دول الوفاق الثلاثى ، وقد وقفت ايطاليا على الحياد فى بداية الحرب ولكنها اعلنتها على حلفائها فيما بعد ذلك فى ٥ من مايو سنة ١٩١٥ . وكانت تركيا قد دخلت الحرب قبل ذلك الى جانب دول الوســـط دفاعا عن كيانها المهدد من دول الوفاق .

وامتدت الحرب الى أبعد من هذا واشتركت فيها دول عدة وشهد العالم لاول مرة فى تاريخه حربا عامة تصطلى البشرية جمعاء بنارها . (١)

ولكن ما موقف ايران من هذه الحرب ؟

لقد أعلن الشاه من جانبه حياد بلاده ، الا انها لم تسلم من أوضــــار الحرب ، وغدت ميدانا للقتال ومسرحا عنيفا لمؤامرات المتحاربين ، فقد سارع الانجليز فى بداية الحرب بانزال قواتهم فى بوشير والمحمرة ـــ واحتلال المناطق الجنوبية من ايران ، كما سارع الروس باحتلال المناطق الشمالية وحاولوا التقــدم الى طهران

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ـــ دكتور حسين فوزى النجار صفحة ٣٧١ .

العاصمة ، كما اجتاز الاتراك حدود ايران أيضا ، وجل هدفهم أن يحولوا دون اتصال القوات الروسية فى الشمال بالقوات الانجليزية فى الجنوب . وهكذا اندفعت هذه القوى الثلاث داخل ايران وكل منها تريد أن تقتطع لنفسها أقصى ما تستطيع الاستيلاء عليه منها .

وكانت دعوة الخليفة للجهاد الدينى قد وجدت لها صدى بين بعض رجال الدين ورجال السياسة الذين نزحوا الى مدينة « كوم » وكونوا فيها « جماعة اجتهادى اسلام » بزعامة « سلمان مرزا » وكانت المفوضيتان الالمانية والنمساوية قد نزحتا اليها قبلهم خوفا من اجتياح الروس للعاصمة وأصبحت كوم مقرا للمؤامرات الالمان والمتشيعين لهم والناقمين على الانجليز والروس من الايرانيين الوطنيين .

أما الالمان فكانوا يتابعون نشاطهم السرى بين رجال القبائل ويحيكون المؤامرات لحمل الايرانيين على الثورة ضد الحلفاء والانحياز الى جانبهم ، واستغلوا عواطف الشعوب ضد الحلفاء ، وصادفوا فى هذا المضمار نجاحا عظيما ، وما كان تشيع الوطنيين فى ايران لالمانيا الا بغضا لسياسة الغرب الاستعمارية ونفوذه الجاثم فيها . وتوج الالمان نجاحهم فى ايران عند ما كسبوا أقوى الاحزاب السياسية الى جانبهم وهو الحزب الديمقراطى الذى ظفر بأغلبية المقاعد فى انتخابات المجلس التى أجريت فى عام ١٩١٥ ، وكان للدعاية الالمانية أثرها الباهر فى فوزه بأغلبيته البرلمانية .

وهدف الالمان من هذه الدعاية الواسعة عرقلة المجهود الحربى للحلفاء فى ايران باثارة القبائل الايرانية على الانجليز والروس حتى يشغلوا بهذا الميدان ، فيتأثر مجهودهم الحربى فى الميادين الأخرى كما كانت ترمى أهداف الدعاية الالمانية ايضا الى تدمير آبار البترول حتى تحرم الأسطول البريطانى من موارد تموينه

الرئيسية ... وعملت فى سبيل هذا الغرض على استمالة زعماء البختيارى سادة اقليم خوزستان الذى تتركز فيه أهم موارد البترول الايرانية ، ونجحت فى استمالة قبيلة قشجاى فى جنوب ايران والتى تأثرت بدعايتها أكثر مما تأثرت قبائل البختيارى ، حتى انها ثارت على الانجليز وحاربتهم أكثر من مرة . (١)

ولكى يواجه البريطانيون نشاط الالمان قاموا بتنظيم قــوة عسكرية قوامها من البريطانيين والهنود والايرانيين بقيادة ضباط بريطانيين ، واطلقوا عليها اسم حملة البنادق من جنوب ايران (٢) ومن ناحية أخرى لجأت بالاتفاق مع الروس لاقامة سلسلة قوية من نقط الحراسة على طول الحدود الشرقية لايران حتى تمنع تسرب الالمان الى افغان والهند .

اما فى الشمال ، فقد تقهقر الروس أمام الهجمات التركية فى منطقة القوقاز ، ولكن جيش المنطقة الواقعة عبر القوقاز الذى كانت تشترك فيه القوات الروسية اثبت انه أقوى من الاتراك .

وفى ربيع سنة ١٩١٦ توغل جيش القيصر فى تركيا واستولى على ارزروم Erzerum أكبــر قاعــدة حربيــة تركيـــة شرق الاناضول فى حين تقدم الروس فى الجنوب تجاه بغداد ، ولكن بعد ذلك استسلم الجيش البريطانى للاتراك فى كوت العمارة فى أرض ما بين النهرين ، واستولى الاتراك لتوهم على همدان ، وكانوا فى طريقهم الى كازفين حينما حل الشتاء فأوقف المزيد من العمليات الحربية .

وبدأ عام ١٩١٧ ، وقد أحرز البريطانيون انتصارات فى أرض

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ــ دكتور حسين فوزى النجــار صفحة ٣٨٩ .

(٢) Iran, Richard N. Frye P. 71.

ما بين النهرين وتوغل الروس فى ايران ... ولكن قيام الثورة البلشفية فى روسيا وضع حدا للزحف على الاتراك ، وسرعان ما انحدرت القوات الروسية فى ايران فى صيف سنة ١٩١٧ ، ولم يمنع الجيش التركى من التقدم فى الحال الى آذربيجان الا ضعفه وسوء تنظيمه .

وقبل نهاية سنة ١٩١٧ رجحت كفة دول المحور فى شمال ايران والقوقاز وزحف الاتراك على آذربيجان وتغلبوا على القوات الارمنية الضعيفة التى حلت محل القوات الروسية المتقهقرة ، وقد جعل هذا من الضرورى أن يقدم البريطانيون بحركة مضادة ، فنقلوا قوات الى شمالى شرق طهران للدفاع عن العاصمة ضد احتمال الغزو التركى ، وبقيت هذه القوات هناك حتى بعد اعلان الهدنة .

ولما خرجت روسيا من الحرب على أثر الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ ، وسحبوا قواتهم من ايران ، اسرع الانجليز باحتلال نقط الحراسة التى كان يحتلها الروس على الحدود الشمالية الشرقية لايران ، كما سيروا حملة من بغداد فى اتجاه باكو لتحول بين الاتراك والالمان والوصول الى مواردها البترولية ، ونجحت الحملة فى الوصول الى باكو ، ولكنها اضطرت تحت ظروف قاسية للجلاء عنها ، وفى انسحابهم جعلوا يثيرون الآشوريين والأرمن حول بحيرة اورميا (رضائية) على الاتراك ، وقبل أن يصل اليهم السلاح والعتاد الذى وعدهم به الانجليز ، أوقع بهم الاتراك مذبحة مروعة ، وحملوهم على الهجرة الى شمال الجزيرة فى العراق ، وظلوا عالة على الانجليز خلال الحرب حتى نزح الارمن الى جمهورية أرمينيا السوفيتية وبقى الآشوريين فى العراق مشكلة من مشاكلها الحاضرة .

وفى ربيع سنة ١٩١٨ انتصر الالمان انتصارا كبيرا فى شمال

فرنسا ، وكان لهذا الانتصار آثاره فى ايران ، فقد ثارت قبائل الكاشكاى وهاجمت القوات البريطانية ، وحثت الايرانيين فى الوقت نفسه على أن يهجروا فرقة حملة البنادق التابعة للبريطانيين فى جنوب ايران . وقامت معارك عدة قبل أن يمكن التغلب على تلك القبائل الثائرة .

وهكذا اصطلت ايران بنيران الحرب العالمية الاولى ، دون ان يكون لها دخل فى اثارتها ، وعلى الرغم من أنها اعلنت حيادها فى بداية الحرب وعدم انحيازها الى احد المتحاربين ، فان الحرب فى حقيقتها لا تدور الا حيث تتصادم مصالح المتحاربين فى حيز من الارض ... هو مصدر النزاع وساحة الصدام .

وتمخضت الحرب العالمية الاولى عن آثار لم تكن فى ذاتها وليدة الآلام التى خلفتها الحرب او المحنة التى مر بها العالم خلال اربع سنوات ، وانما ترجع فى اصولها الى تلك القوى التى لعبت دورها على المسرح العالمى قبل نشوب الحرب وكانت اهم أسبابها، فالانقلاب الصناعى ونمو الوعى القومى وتقدمه فى الشعوب التى خضعت لنظام الامبراطورية ووحدتها التىقامت على أساس مركزى شديد الاوتوقراطية اذا استثنينا الامبراطورية البريطانية ذات النظام المرن ، ثم نمو الروح العسكرية نموا أصبح يهدد السلام بالاحتكام الى القوة وغلبة السلاح واخيرا تطور الوعى السياسي وظهور مذاهب جديدة فى الحكم والاقتصاد ونظام المجتمع ... وبدت هذه القوى وقد كشفت عن نفسها قبيل الحرب ، وكانت سببا هاما فى اشعال نيرانهـــا وتوقد لظاها واحتدام صراعها ، وانتهت الحـــرب لتكشف عن عرامتها فتخلق هذا العديد من المشكلات التى كان على مؤتمر الصلح أن يواجهها ويجد لها الحلول الملائمة .

وانعقد مؤتمر الصلح فى باريس فى يناير سنة ١٩١٩ ليواجه المشاكل التى خلفتها الحرب ، وفى هذا المؤتمر مثلت اغلب شعوب

العالم تمثيلا لم يسبق له مثيل فى أى مؤتمر آخر عقد من قبل ، وكان فى حقيقته مجمعا للدول الغالبة ، فان الدول المغلوبة لم تمثل فيه الا حينما دعيت لتسمع الحكم عليها ، ولم تشترك فيه الدول المحايدة ، واقصيت عنه الروسيا التى خرجت على المجتمع الدولى بنظام لم يكن موضع رضاء الدول المنتصرة (١)

ولكن ما اثر انتهاء الحرب على ايران ؟

عندما آذنت الحرب بنهايتها ، كانت بريطانيا تفكر فيما تكون عليه علاقتها الجديدة بايران على هدى التطور العالمى الجديد فى السياسة والاستراتيجية وعلاقته بسياستها واستراتيجيتها الامبراطورية ، فقد كانت ايران قنطرة العبور الى الهند ، كما انها تطل على البحار المفتوحة الى وسط وجنوب افريقية وجنوب شرقى آسيا ، ثم أصبحت ايران فى حد ذاتها هدفا استراتيجيا جديرا بالاغراء عند ما نبع بترولها وفاض غزيرا فى أوائل القرن العشرين وظفرت شركة انجليزية بامتيازه ، وهكذا عظمت اهمية ايران بظهور هذا العامل الجديد الذى اضحى مصدر القوى المحركة فى العالم .

وقبل أن تعلن الهدنة ، عاد التنافس بين روسيا وبريطانيا فى ايران أشد مما كان ، فان روسيا بعد أن خرجت من الحرب ، وقامت بثورتها اهتمت أول ما اهتمت بحماية البلاد المجاورة لها من النفوذ الاجنبى ، وناصرت قضاياها الوطنية لتدعم استقلالها فتكون هذه البلاد حاجزا قويا بينها وبين القوى المعادية ، فعملت فى ايران على ابعاد النفوذ الانجليزى واقصائه عنها فقد رأت خلال الحرب

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ــ الدكتور حسين فوزى النجار صفحة ٣٩٢ ــ ٣٩٣ .

كيف زحفت القوات البريطانية على باكو ، وكيف احتلت شمال ايران واصبحت خطرا قائما يهدد الاتحاد السوفييتي .

وقد خطى السوفييت خطوة أبعد من هذا عند ما اعلنوا حكومة ايران فى ١٤ من يناير سنة ١٩١٨ بنزولهم عن كل الامتيازات التى كانت لروسيا القيصرية فى بلادها واستعدادهم لمعاونتها على اخراج القوات البريطانية والتركية من أراضيها ، وان تقوم العلاقات بين الدولتين فى المستقبل على أساس الاحترام المتبادل .

ولم يغب المرمى البعيد الذى تهدف اليه السياسة السوفيتية على اذهان الايرانيين ، ولم يشغلهم هذا الكرم السوفييتى عن أمانيهم القومية دون ما نظر الى هذا التقرب الروسي الجديد منهم ، وكان استرجاع كردستان وولاياتهم المفقودة فى أواسط آسيا والتى اغتصبها الروس من قبل ابان توسعهم الاستعمارى فى آسيا بعض ما عملوا على تحقيقه والمطالبة به .

أما بريطانيا ، فكانت حريصة على الا تدع لأية قوة كبيرة بأن يكون لها نفوذ فى ايران . وفى هذا الاتجاه وضعت نصوص المعاهدة الانجليزية الفارسية سنة ١٩١٩ ، ووضعها مع حكومة ايران كل من لورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية وسير برسي كوكس السفير الانجليزى فى ايران فى أغسطس من العام نفسه .

وكانت هذه المعاهدة قيدا يهدد استقلال ايران ويجعل منها منطقة نفوذ بريطانية . فهى بعد أن تعترف فى المادة الاولى باستقلال ايران وحريتها وسيادتها ووحدة أراضيها ، تعود لتقيد هذه السيادة بالقيود التى فرضتها لمصلحتها ، فتجعل لنفسها الاشراف على مالية البلاد وجيشها ، وتفرض رجالها على الادارات الحكومية المختلفة بمثابة مستشارين لها وتلزمها بتبادل المعونة العسكرية وما يتبع

ذلك من احتلال الارض وانشاء المطارات والقيام بجميع التسهيلات اللازمة التى تفرضها الحرب عند اشتباك احدهما فيها .

ولم تلق هذه المعاهدة تأييدا لا فى الاوساط الدولية ولا فى دوائر الحلفاء ولا بين الايرانيين أنفسهم ، فقد رأى الاتحاد السوفييتى فيها خطرا جديدا يهدد امنه الاستراتيجى ، فقاومها منذ البداية ، وراح الحلفاء يتهمون بريطانيا بمحاولة كسب نفوذ جديد فى مناطق لم تتناولها معاهدات الصلح بعد ان خرجت ظافرة بنصيب الاسد فى غنائم الحرب ، واخذ الوطنيون الايرانيون يطالبون بالغاء المعاهدة ويتهمون رجال حكومتهم بالرشوة التى أغراهم بها الانجليز لتوقيعها (١) وقد أبدت صحف باريس وواشنطون عدم موافقتها على الاتفاقية ، وبالرغم من أن أحمد شاه أيد الاتفاقية أخيرا فانه كان لا بد من تصديق المجلس عليها ، وكان من الضرورى أن ينتخب المجلس الوطنى أولا ثم يدعى للانعقاد . ولم يحدث هذا بالمرة لأن ثمة حكومة جديدة تولت الحكم سنة ١٩٢١ عقب انقلاب غير الموقف تغييرا تاما (٢) .

وكان الاتحاد السوفييتى جريا على سياسة التقرب التى اختطها حيال ايران ، والتى ظهرت بوادرها منذ عام ١٩١٨ قد انتهى بعد مفاوضات جرت بينه وبين حكومة مشير الدولة خلال عام ١٩٢٠ الى وضع أصول معاهدة تبرم بين البلدين وتقر علاقتهما السياسية على اساس ثابت وقد استهلت هذه المعاهدة نصوصها باستنكار العدوان الاجرامى لحكومات القياصرة وحكومات اوربا على شعوب آسيا ، ثم نصت على الاعتراف باستقلال ايران استقلالا

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ـ الدكتور حسين فوزى النجار صفحة ٤٧١ ـ ٤٧٢ .

(٢) Iran, Richard N. Frye P. 71.

تاما ، ونزل الاتحاد السوفييتى عن جميع الاراضي الايرانية التى استولى عليها القياصرة سنة ١٨٩٣ ، وأن يرجع خط الحدود بين الدولتين الى ما كان عليه عام ١٨٨١ ، كما نزل الاتحاد السوفييتى عن كل ما كان لروسيا من ديون قبل ايران وعن كل ما كان لها أو لرعاياها من امتيازات وحقوق اقتصادية وسياسية فيها .

وبين هاتين السياستين المتعارضتين اللتين سارتا على طرفى نقيض لكل من الاتحاد السوفييتى وبريطانيا ، لعبت ايران الدور الاول فى مستقبلها وجرى مجهودها القومى على حركة قوية تحدت القوة بالقوة ، فوقف رضا خان يحيى موات الهمم ويبعث حلاوة الامل فى نفوس أجدبت الا من اليأس ، واجتمع حوله كل ذى همة وخاض بأنصاره معركة الهزيمة فانقلبت نصرا مبينا ، وسطر نجاح حركته أعظم النتائج التى تمخضت عنها الحرب العالمية الاولى فى ايران فكانت ايران الجديدة التى قامت على انقاض آخر شاهات الاسرة القاجارية هى الدولة الوحيدة التى سلمت من براثن النفوذ الاجنبى فى الشرق الاوسط مع تركيا بعد الحرب العالمية الاولى .

وكان تصديق المجلس النيابى على المعاهدة الروسية ــ الايرانية فى ٢٦ من فبراير سنة ١٩٢١ ورفض المعاهدة الانجليزية ــ الايرانية التى ظلت معلقة منذ عام ١٩١٩ حتى تاريخ رفضها أول عمل تم بعد قيام رضا خان بانقلابه العسكرى الناجح فى ايران .

الفصل الخامس

رضا شاه بهلوي



فى يوم ٢١ من فبراير سنة ١٩٢١ ، وقبل خمسة أيام من توقيع معاهدة الصداقة الايرانية السوفيتية فى موسكو اطاحت قوات رضا خان بالحكومة الضعيفة فى طهران ، وقد ساعد رضا فى هذه المهمة الكاتب السياسي ضياء الدين طباطبائى . (١)

وقد ولد رضا خان فى ١٦ من مارس سنة ١٨٧٨ فى سوادكوه فى اقليم مازندران الواقع على بحر قزوين ، وكان والده وجده ضابطين فى الجيش الايرانى القديم ، والتحق فى شبابه بفرقة القوازق الايرانية واستطاع أن يصل الى رتبة القيادة بكفايته الخاصة . (٢)

وقد رأس الوزارة بعد احتلال طهران ضياء الدين طباطبائى فى حين عين رضا وزيرا للحربية ورئيسا لهيئة أركان حرب القوات الايرانية .

وقد حاول طباطبائى فرض اجراءات خاصة واصلاحات معينة ولكنه اصطدم برضا خان ، وهكذا اجبر ضياء الدين على الاستقالة وترك ايران وسمح له البريطانيون بالاقامة فى فلسطين . (٣) وظل رضا خان نفسه وزيرا للحربية فى عدة وزارات متتالية الى عام ١٩٢٣ ، ثم أصبح رئيسا للوزارة ، وبعد ذلك

---

(1) The Middle East In World Affairs George Leuczowski P. 165. New York. (1957).

(٢) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ١١٧ .

(٣) Richard N. Frye P. 75.

بأشهر قليلة ترك احمد شاه آخر ملوك الاسرة القاجارية ايران على الا يعود اليها ابدا .

واخذ رضا خان يدنو سريعا من غاية آماله ، فقد اختارتهجمعية تاسيسية خاصة فى أكتوبر عام ١٩٢٥ كأول ملك للدولة البهلوية . واجتمعت الجمعية الوطنية واعلنت سقوط احمد شاه والمناداة برضا خان ملكا على ايران . (١) واتخذ هو لنفسه لقب بهلوى ، واقيم حفل التتويج فى ٢٥ من ابريل عام ١٩٢٦ .

ووجد الشعب الايرانى اخيرا الشخصية التى كان محتاجا اليها ، الشخصية التى كان عليها ان تعد النفوس للتغيير الجذرى ، فقد فطن رضا شاه اكثر من غيره من مواطنيه الى الفرق الشاسع الأطراف بين ماضي ايران المجيد وحاضرها المنهار فصمم على أن يوقظها من سباتها ، ويغذى فيها الشعور بالاتحاد والعزة القومية ، وكان على ايران ان تطرح كل تدخـل ونفوذ اجنبيين وأن تظفر باستقلال كامل وباحترام من الشعوب الاخرى ، كما كان عليها ان تحاول تحويل اقتصادها الى الوجهة الصناعية وان تصلح نظمها الاجتماعية والاقتصادية .

وكانت القوات البريطانية والسوفييتية قد جلت عن ايران فى نهاية سنة ١٩٢١ ، وأمضت الحكومة الجديدة السنوات الاولى فى العمل على توحيد البلاد وحتى يتم لها هذا كان أول اعمالها ان تقوم بانشاء قوات من الجيش والشرطة تكون موالية للحكومة المركزية ، وبعد أن قضي على الثوار الاكراد واخضع زعماء خوذستان اصبحت ايران أكثر هدوءا ووحدة مما كانت عليه فى عصر آخر منذ أيام الشاه عباس ، وقد شكلت قوات من الشرطة يرتدى افرادها ملابس زرقاء اللون ، كما أنشئت قوات للجيش ، وكانت مهمة هذه القوات

---

(1) The Middle East (R.I.I.A.) P. 207.

من الشرطة والجيش هى المحافظة على الامن فى الداخل ومنع التهريب والمساعدة فى جمع الضرائب ... وكانت هذه القـوات تابعة لوزارة الحربية . (١)

وكان رضا يؤمن بأن الجيش هو سنده الوحيد فى صراعه مع القوى الاجنبية ، وأن تكوين جيش حديث مدرب على أحدث الاسلحة سوف يؤمن استقلال البلاد ، ومن ثم كون جيشا ضخما ومسـلحا تسليحا حديثا (٢) وسرعان ما اخضع كل ركن من أركان ايران تحت سيطرة الحكومة المركزية العليا ، وضحى بالنظم الاجتماعية البالية فى سبيل ادخال الاساليب التقدمية الحديثة ، ففقد الاشراف قوتهم واعتبارهم ، كما الغى استعمال الالقاب ، كما رأى أن نفوذ رجال الدين وتدخلهم فى كثير من الشئون الدنيوية يؤثر على مركزه كحاكم مطلق ، فخطا خطوات كثيرة لتحطيم قوتهم ونفوذهم ، واسـتبدل القانون الدينى بالقوانين المدنية والجنائية ، وصار الزى الدينى لا يلبس الا بتصريح خاص، وانشئت المكاتب لتسجيل الزواج والطلاق المدنيين وتحسن مركز المرأة ، واستبدلت المدارس الدينية بالمدارس المدنية ولم يكن هدفه من هذا كله محاربة الدين نفسه ، بل كان القضاء على المظاهر الكاذبة التى لا تتناسب مع ايران بعد أن اعيد بعثها .

وقد استخدم المتخصصـون والاجانب لتنفيذ برنامج التصنيع والاصلاح المالى والادارى ، غير أنهم كانوا — بعد عام ١٩٣٠ — لا يعطون مناصب ذات نفوذ ، فاكتفى باستعمالهم كفنيين ومهندسين، لأن رضا شاه أظهر نفورا شديدا من الدول الاجنبية ، وقد تولد فيه هذا الشعور بسبب وطنيته المفرطة وبسبب نفوره من كل نقد يوجهه

---

(١) Iran, Richard N. Frye P. 75

(٢) The Middle East In World Affairs G. Lenczowski P. 166.

اليه الاجانب ، وغذاه ايضـــا ضــــغط الازمة الاقتصـــادية العالمية الشاملة على ايران .

وقد واجهت ايران الازمة الاقتصـــادية ، وكذلك واجهتها مشكلة نقص العملات الاجنبية ، واضطرت حكومته الى السيطرة على الاقتصاد والتجارة واسست شركات احتكارية لتنفيذ مشروعات الاستيراد والتصدير ، كانت الحكومة تمتلك جميع اسهمها أو اكثرها، وكانت اثمان البضائع المستوردة تحدد بأســـعار عالية ، فحققت الحكومة بذلك أرباحا طائلة . (١)

كما انشيء البنك الوطني لايران عام ١٩٢٨ ، ووضع رضـــا شاه حدا للاقتراض من الدول الاجنبية ، فاختفى التدخل البريطاني في شئون ايران الداخلية،وسلب رضا شاه من المصرف الامبراطوري الذي تملكه بريطانيا حق اصدار العملة ، كما حرم على الاجانب تملك الاراضي الزراعية ، وأحكم الرقابة على التجارة الخارجية والجمارك، وعمل على تحرير الاقتصاد القومي والمنشآت الاهلية من سيطرة الشركات الاجنبية ، وان لم يمنع اســـتغلال الاموال الاجنبية في بلاده .

وحافظ الشـاه في علاقاته بالدول الكبرى على ابعاد اي ظل لنفوذها في بلاده ، وقد قضي رضا شاه على كل مظاهر التدخل السياسي الاجنبي في ايران ، ولكنه من ناحية أخرى تحقق من ضرورة اقامة علاقات تجارية واقتصادية مع الدول الاجنبية فأبرمت خمسة مواثيق بين روسيا وايران في عام ١٩٢٧ ، كما أبرمت عدة مواثيق أخرى في عام ١٩٣٥ تتعلق بحقوق صـــيد السمك على الشـاطيء الايراني لبحر قزوين ، وباعادة بعض المنشآت على ميناء بهلوي على بحر قزوين .

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ـ دونالد ولبر صفحة ١٢٠.

ولم تنس بريطانيا نفوذها القديم فى ايران ، واهمية ايران الاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لمشروعاتها فى المنطقة ، ولكنها وقفت ترقب الميدان من بعيد ، فلم يعد فى استطاعتها ان تتدخل فى الشئون الايرانية او كسب امتيازات جديدة من هذا الرجل القوى الذى تسنده قوى الشعب ، وكان الشاه بدوره كثير الحذر منها ، ومن الدول التى تقع فى دائرة مصالحها .

وكانت سياسة رضا شاه الخارجية موجهة نحو صون حرية البلاد وسلامة حدودها ، ولكى يضمن هذا عمل على تحسين علاقاته مع جيرانه مما دفعه الى القيام بزيارة لأنقرة سنة ١٩٣٤ ، لكى يقوم بمشاورات مع مصطفى كمـــال أتاتورك ، وكانت هـــذه هى المرة الوحيدة التى يترك فيها الشاه وطنه .

كما حسم الشاه الخلافات القائمة بشأن الحدود مع العراق وافغانستان بطريقة ودية ، وفى اليوم الثامن من يوليه ســـنة ١٩٣٧ اوقع ميثاق عدم اعتداء بين ايران والعراق وتركيا وأفغانستان، وقد وقع هذا الميثاق فى القصر الصيفى للشاه الذى يقع شـــمال طهران ، وعرف باسم ميثاق سعد اباد نسبة الى الحديقة والقصر اللذين وقع فيهما هذا الميثاق .

واهتم رضا شاه كذلك اهتماما كبيرا بشئون المواصـــلات فعبد الطرق الداخلية ، لأن وسائل النقل تعد فى غاية الاهمية فى ارض جبلية مثل ايران وقد أيقن الشاه أن انشاء طرق صالحة يعتبر أمرا ضروريا لتوحيد البلاد ولنموها الاقتصادى .

ومن أضخم الاعمال فى هذا المضمار هو انشاء خط حديدى عبر طهران ، ولقد خصصت الحصيلة الناتجة من احتكار الحكومة للشاى والسكر لتغطية تكاليف الخط الحديدى ، وحيث أن الشاى يعتبر الشراب الوطنى ويستعمله الناس بكميات كبيرة ، لم يرحب

الناس بفرض الضرائب عليه ، ولكنها اسفرت عن جمع مبالغ كبيرة استخدمت فى انشاء هذا الخط . وليس من شك فى أن هذا الخط انحديدى يعتبر احد الاعمال الهندسية فى العصور الحديثة ، لانه يخترق أرضا من اوعر الاراضي الموجودة على الكرة الارضية ، وكانت تكاليف هذا الخط باهظة لانه يوجد ما يقرب من ١٥٠ نفقا فى الخط الجنوبى من طهران الى الخليج العربى ، كما يوجد عدد آخر من الانفاق يبلغ نصف هذا العدد فى الخط الشمالى المتد من طهران الى بندر شاه على بحر قزوين . وقد تم انشاؤه قبل الحرب العالمية الثانية بزمن يسير ... ومن مهازل التاريخ ان الخط الذى رسمه الشاه بحيث يبعد عن شبكة السكك الحديدية الروسية فى القوقاز وعن الخطوط البريطانية فى العراق وبلوخستان قد استخدمه اعداؤه ضده خلال الحرب . وقد بدأ انشاء هذا الخط فى عام ١٩٢٧ وانتهى انشاؤه فى سنة ١٩٣٩ ، وتجدر الاشارة ايضا الى ان هذا الخط قد مولته الحكومة الايرانية وحدها من ضرائب الشاى والسكر فقط ، اما الناحية الفنية فقد تكفل بها عدد من المهندسين الاجانب من جنسيات مختلفة .

كما شجع الشاه اقامة الخطوط الجوية فى بلاده ، فبين عامى ١٩٢٧ و ١٩٣٢ حصلت شركة جونكرز الالمانية للطيران على امتياز مرور اربعة خطوط جوية عبر ايران (١) . الاول يمر بطهران وكرمنشاه وقصر شيرين الى بغداد والقاهرة ، والثانى بين طهران واصفهان وشيراز وبوشير الى كراتشي وبومباى ، والثالث بين

(1) The Middle East In World Affairs G. Lenczowski P. 167.

طهران ومشهد الى وهران وكابل ، والرابع بين طهران ورشت الى باكو ، واستمرت الشركة فى عملها حتى عام ١٩٣٢ .

كما عقد رضا اتفاقا مع شركة الخطوط الجوية الامبراطورية البريطانية فى سنة ١٩٢٨ بتسيير خطوطها الى الهند عبر سواحل الخليج العربى ، الا أن الشاه فى تنفيذه لبرنامج التصنيع والاصلاح المالى والادارى ، كان لا مفر له من الاعتماد على الاجانب ، فهداه فكره الى الاستعانة بالدول التى لا يحذر خطرها — حين ذاك — كالولايات المتحدة والمانيا وبعض دول شمال اوربا ، فاستعان فى أول حكمه بمستشار مالى أمريكى هو الدكتور أ . س . ملسبو ومنحه سلطات واسعة لاصلاح مالية البلاد ، وأقبل الرجل على عمله بهمة كبيرة ، فسوى فى فرض الضرائب بين الاغنياء والفقراء ، ووازن ايرادات الحكومة ومصروفاتها ، واستغنى عن كثير من الموظفين الزائدين عن حاجة العمل ، وبدا التحسن واضحا فى مالية البلاد ، ولكن صلابة الرجل فى تطبيق آرائه وتنفيذ مشروعاته دون أن يربط بينها وبين السياسة العامة للدولة حمل الحكومة على الاستغناء عنه وعن معاونيه .

وكانت الضرائب تحت حكم الدولة القاجارية غالبا ما تقرر على اساس شخصي ولكن المستشار الامريكى الدكتور ملسبو أوصي بالمساواة فى الضرائب ، الا أن هذا كان سببا فى طرده ، وحل الالمان محل البعثة الامريكية الاقتصادية برياسة دكتور ملسبو .

ولم يكن حذر الشاه من بريطانيا بعيدا عن الصواب ، فسرعان ما دب الخلاف بين شركة البترول الانجليزية الايرانية والحكومة الايرانية حتى تدخلت الحكومة البريطانية فى الامر دفاعا عن الشركة ،

واذا كان بترول ايران هو أهم موارد بريطانيا البترولية ، فانه من ناحية اخرى اهم مصادر الانتاج فى ايران وقوام صادراتها . ولكن تهرب الشركة من الوفاء بالتزاماتها والمغالطات الواضحة فى حساباتها بقصد حرمان الحكومة الايرانية من نصيبها فى الارباح والتأثير فى مالية الدولة التى تدخل ارباحها فى الشركة فى ميزانيتها العامة ، وفداحة شروط الامتياز ، كل هذا حمل الحكومة الايرانية على مطالبة الشركة بتعديل شروط الامتياز لمصلحة ايران ، وجاء هذا عندما هبط نصيب الحكومة من ارباح الشركة الى النصف ، واتهام الحكومة الايرانية للشركة بتقييد الانتاج لمصلحتها مما يعود بالضرر على الدولة .

وسوف نشرح صورة الخلاف بين الشركة والحكومة بصورة أوضح فى الباب السادس من هذا الكتاب ، وفى الجزء الخاص بقصة البترول فى ايران ، (مشكلة التأميم) .

ايران والحرب العالمية الثانية :

كان رضا شاه يشك فى نوايا الروس والبريطانيين ، ولهذا كان من الطبيعى ان يتجه ناحية المانيا عند الاستعانة بالمستشارين الفنيين . وقد أبدت المانيا فى عهد هتلر اهتماما جديا بايران ، وهكذا ارسل الفنيون والاطباء والمستشارون بمختلف أنواعهم الى ايران بشروط مرضية لها . ونمت التجارة بين البلدين نموا عظيما لدرجة أن المانيا كانت تحصل على ٤١٪ من تجارة ايران الخارجية عند قيام الحرب (١) .

وقد اعلنت ايران حيادها برغم أن كثيرا من الايرانيين — بل

---

(1) Iran, Richard N. Frye P. 80.

الدوائر الحاكمة الايرانية نفسها ــ كانوا مشايعين للالمان دون ادنى شك . ولم يكن هناك مبرر لقيام نزاع مع الروس او البريطانيين حتى غزا النازيون الاتحاد السوفييتى فى يونية عام ١٩٤١ ، واصبح من الواضح ان ايران اصبحت هى الطريق العملى الوحيد لشحن العتاد والاسلحة الى روسيا ، لأن الطريق البحرى الشمالى الى مرمنسك Murmansk عرضة لهجمات العدو ، فى حين كانت فلاديفستك Vladvostok بعيدة جدا وعقب الهجوم الالمانى على الاتحاد السوفييتى بوقت قصير طلبت الدولتان الكبيرتان من الحكومة الايرانية ان تأذن لهما فى استخدام ايران كطريق للنقل ... الا ان رضا شاه رفض هذا الطلب ، ومن ثم تلقى انذارا فى أغسطس ، وحينما رفض مرة أخرى تحركت القوات السوفيتية الى ايران ولقى البريطانيون فى الجنوب بعض المقاومة ، ولكن الجيش الاحمر فى الشمال لم يلق أية مقاومة .

وقسمت كل من انجلترا والاتحاد السوفييتى ايران الى منطقتى نفوذ ، فسيطرت الروسيا على الولايات الشمالية الخمس وهى اذربيجان وجيلان ومازندران وجورجان وخراسان ، أما بريطانيا فقد حققت سيطرتها على بقية الاراضي الأيرانية (١) . وفكر رضا شاه فى خير وسيلة لانقاذ بلاده ..... فنزل عن العرش وأخذ تحت حراسة بريطانية فحمل اولا الى جزيرة موريتيوس ثم نقل الى جنوبى افريقية حيث توفى عام ١٩٤٤ .

وقد نشرت بعض الكتب والمقالات عن عصر رضا شاه منذ نزوله فى عام ١٩٤١ ، ومهما يكن من شيء فان من الواضح تماما انه احد الشخصيات المهمة فى تاريخ ايران ، وانه قد استطاع بمفرده ان يضع ايران جنبا الى جنب مع دول العالم الحديثة المتحضرة .

The Middle East In World Affairs. G. Lenczowski P. 176. (1)

الا انه للحقيقة والتاريخ يجب ان نذكر ان الشاه الذى كرس نفسه لخدمة ايران وتقدمها ، لم ينس ان يجمع لنفسه ولعائلته ثروة طائلة، واستولى لنفسه على كثير من القرى بكاملها ، وامتلك مساحات شاسعة الأطراف من الاراضي الزراعية والغابات ... وهذا بلا ريب أمر يؤسف له .

أما من الناحية الادارية فقد استعان بقوته الشخصية الصارمة، وببرلمان فقد روح الاستقلال ومقوماته الاساسية فكان ينفذ كل اقتراح تقدمه الحكومة . كما استعمل الشاه الجيش لاخماد روح التحرر بين القبائل البدوية ، وتجنب الموظفون الحكوميون تحمل المسئولية ، فكانت تقاريرهم عن الحالة الداخلية تصور حالة الرضا والشعور بالتفاؤل لارضائه ، كما تشير الى الصلات الطيبة بين ايران والدول الاجنبية ، فكان المخطئون يعاقبون عقابا قاسيا كما يعاقب أعداء الملك الشخصيين .

وانعدمت حرية الصحافة والكلام ، وانشأت الدولة ادارة خاصة لتوجيه الرأى العام ، ولم تتح أية فرصة لاظهار المصلحين والزعماء الوطنيين من بين افراد الجيل المتعلم الناهض ، وصفوة القول أنه وجدت حالة اضعاف للاساس الخلقى ، كما وجد جو شامل من الضعف والاذعان (١) .

ومهما قيل عن بعض مساوى رضا بهلوى كحكمه المطلق ، وتكوينه ثروة شخصية هائلة وتقييده للحريات العامة ، فان من الواضح تماما انه أحد الشخصيات الهامة فى تاريخ ايران الحديث .

وقد خلف محمد رضا اباه على عرش ايران ... ولكن شتان

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ــ دونالد ولبر صفحة ١٢٠.

ما بين الاب والابن ، فان رضا شاه قد بعث ايران الحديثة ، وحررها من الاستعمار وخطط الاقتصاد الايرانى علىدعائم سليمة ، وضحى بعرشه أخيرا كوسيلة لانقاذ بلاده، اما محمد رضا فقد مكن للاستعمار من البلاد بل واستجاب لرغبات أسياده حينما أمروه الا يدخل جثمان أبيه — الذى توفى فى المنفى — الى ايران (١) بل وتمادى أكثر من ذلك فوضع الاحرار فى السجون .. وسترى كيف انه سيصادق دولة الظلم ... دولة الاجانب فى فلسطين ، متناسيا العلاقات الوثيقة بين العرب والايرانيين منذ قديم الازل .

(١) دفن رضا شاه بهلوى في مصر في عام ١٩٤٤ في مدافن الرفاعى بالقاهرة، وبعد بضع سنوات نقل جثمان البطل الراحل الى ايران حيث دفن هناك
(المؤلف)



الفصل السادس

إيران وحتمية التاريخ



فى هذا البـــاب ســـنعرض الاحداث الهامة إلتى مرت بايران والتى انتهت بها الى ما هى عليه الآن . فقد احدث الاحتلال الروسي البريطانى لايران في عام ١٩٤١ تغييراً مفاجئا فى تاريخها ، فقد كان نهاية عهد اصلاحات عاجلة فى عهد حاكم قوى متحفز .

وحاولت بريطانيا وروسيا اعطاء احتلالها للبلاد صفة رسمية فأبرمت اتفاقية بين ايران وبريطانيا وروسيا الســـوفييتية فى ٢٩ من ينـــاير عام ١٩٤٢ وتعهدت بريطانيا وروسيا فى أول مادة من هذه المعاهدة باحترام سيادة ايران واســـتقلالها السياسي والمحافظة على حدودها ، كما وافقت الحليفتان على بذل المحاولات اللازمة لتأمين الكيان الاقتصـــادى للشعب الايرانى لحفظه من الفاقة والصـــعوبات التى تكونت نتيجـــة للحرب . كما نصت المواد الاخرى على التســـهيلات التى يجب منحها للحليفتين فى أثناء حربهما ضد المانيا. واكدت هذه المعاهدة ان وجود القوات المتحالفة فى الاراضي الايرانية لا يعنى احتلالا عسكريا للبلاد ، وان هذه القوات يجب أن تنسحب من الاراضي الايرانية خلال مدة لا تزيد على ستة اشهر بعد انتهاء الحرب بين قوات الحلفاء وبين المانيا وحليفاتها .

وفى أوائل عام ١٩٤٢ ، بدأت الامدادات المقـــررة لروسيا تصل الى رأس الخليج العربى ، وتدخل بوساطة الخطوط الحديدية الايرانية وطرق الســـيارات المؤدية الى الشمـال ، كما وصلت أولى القوات الامريكية الى

ايران فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ وبلغ عددها فى النهاية ٣٠،٠٠٠ رجل . وقد استغل الامريكيون الخط الحديدى الممتد من الخليج العربى الى طهران وكذلك قوافل السيارات التى تسير من الخليج الى شمالى ايران حيث كانت الامدادات تسلم للروس ، فحمل خط النقل بالسيارات ٤٠،٠٠٠ طن من مواد الحرب فى حين نقل الخط الحديدى ٤،٠٠٠،٠٠٠ طنمن الامدادات ، سلمتجميعها لروسيا السوفيتية وايران ، وقد استطاع الحلفاء بفضل تعاونهم وكفايتهم أن ينقلوا خمسة ملايين طن من مواد الحرب عبر ايران ويسلموها للجيش الروسي . » ولم يكد يحل ربيع سنة ١٩٤٢ حتى كانت العلاقات الدبلوماسية قد قطعت مع المانيا وايطاليا واليابان ، واخرجت جالياتها من ايران ، وفى ٩ من سبتمبر سنة١٩٤٣ أعلنت ايران الحرب على المانيا كما أعلنت تمسكها بميثاق هيئة الامم المتحدة .

وفى آخر نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، جاء روزفلت وتشرشل وستالين الى ايران لحضور مؤتمر طهران ، وكان ميثاق طهران ذا اهمية حيوية بالنسبة للايرانيين ، فقد اعترف الزعماء المتحالفون فيه بالمساعدة التى قدمتها ايران فى الحرب ، ووافقوا على مواصلة تقديم المساعدة الاقتصادية لايران ، وقرروا أن المشاكل الاقتصادية التى سوف تواجه ايران بعد الحرب ينبغى أن تعطى عناية فى المؤتمرات الدولية أو ممثلى الدول ، كما عبروا عن رغبتهم فى رعاية استقلال ايران وسيادتها وسلامة حدودها (١) » .

وقد عانت ايران ابان الاحتلال منالتضخم الماليوانهيار النقل وشيوع الفوضي فى البلاد . وكانت المقادير الكبيرة من العملة الصادرة لمواجهة نفقات القوات المتحالفة داخل البلاد تعمل عملها فى ارتفاع الاسعار وازدياد التضخم المالى ، وكانت الوزارات

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ــ دونالد ولبر صفحة ١٢٢ ــ ١٢٣

المتتالية قصيرة الاجل .. تهتم بالضروريات اليومية فلا تستطيع ان تقدر المشاكل الجوهرية الناشئة عن التغيير السريع من حكم رضا شاه المطلق الى محاولة للحكم الديمقراطى .

وتم اطلاق سراح المسجونين السـياسيين الذين بدعوا فى الحال تنظيم جماعات سياسية عدة ، ولم تكن الحكومة الايرانية قادرة على مواجهة هـذه التيارات السياسية المختلفة ، حيث أن القوات السوفيتية كانت لا تسمح لموظفى الحكومة الايرانية بالدخول الى الجزء الشمالى من بلادهم .

وكانت الاحزاب السياسية الجديدة ذات اسماء رنانة ، وكان حزب تودة (الكتلة الشـعبية) المتطرف فى اقليم أذربيجان ، قد ابدل اسمه باسم الحزب الديمقراطى الآذربيجانى ، وكانت جماعة هذا الحزب — الذىتحتل القوات السوفييتية ميدان‌نشاطه — تتهم الحكومة المركزية بشدة ، وتهاجم حاميات الجيش الايرانى ومراكز الشرطة فى كل مكان فى الاقليم ، ممـا جعل المنطقـة فى فوضى شاملة .

أما الولايات المتحدة، فلم تعرف — حين ذاك — الكثير عن شئون ايران ، كما انها لم تبد اهتماما كبيرا بتطور هذه الشئون فى اثناء الحرب . وقد يكون وجود بعض القوات الامريكية التى ظلت فى ايران من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٤٥ لمساعدة البريطانيين فى ارسال المؤن الى روسيا قد اثارت بعض‌الاهتمام والنشاط من‌جانب الولايات المتحدة، كما أن البعثة الاقتصادية التى كان يرأسها ملسبو قد نالت من الاعتراف الامريكى اكثر مما نالته اية جماعة اخرى .

وبالرغم من هذا ، فانه لم يكن هناك اهتمام كبير من جانب الامريكيين بشئون ايران السياسية والاتجاه الذى يمكن أن تتطور فيه هذه الشئون .

وقد اتجهت ايران الى الولايات المتحدة فيطلب المساعدات ، فقدمت الاخيرة القروض الى ايران ، وارسلت اليها بعثة حربية لتدريب الجيش الايرانى ، كما إرسل ضابط أمريكى لاعادة تنظيم جهاز الشرطة . وكان من الطبيعى أن يضايق هذا الاجراء الدولتين صاحبتى المصلحة فى هـذه المنطقة فى العالم ، فبريطانيا والاتحاد السوفييتى كانا ينظران الى ظهور الولايات المتحدة كقوة جديدة على مسرح الحوادث فيايران ، وربما تسببهذه القوة المتاعب بالنسبة لخططهما المقبلة .

وبينما كانت أمواج الحرب تنحسر ، ويختفى شبح تقدم المحور من القوقاز ، انحسرت كذلك موجة الخوف من ظهور حركة الطابور الخامس فى ايران ، فقد قبض على عملاء الالمان الذين هبطوا بالمظلات فى البلاد ابان ربيع سنة ١٩٤٣ ، كما القى القبض على الايرانيين المشايعين للمحور بعد ذلك بعدة شهور ، اى قبل أن تعلن ايران الحرب على المانيا فى ٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ . والى هذا الحد كان الروس مشغولين بانقاذ انفسهم ، أما الآن فقد وجهوا اهتمامهم الى الشئون السياسية الايرانية بغرض تحقيق اهدافهم .

وقد حصل حزب توده فى انتخابات المجلس الجديد التى تمت فى عام ١٩٤٤ على ثمانية مقاعد من مجموع المقاعد البالغ عددها ١٣٠ مقعداً وكان الشيوعيون يمثلون الحزب المنظم الوحيد ، أما الجماعات السياسية الأخرى فلم يكن لها برامج محددة او تنظيمات خاصة . وقد استفاد الشيوعيون من هـذه الحالة من الفوضى السياسية فى ايران حيث كانت لهم اهداف معينة ، واتباع منظمون فى حين كانت بقية الجماعات متعارضة فيما بينها .

وقد حدثت نقطة التحول فى العلاقات السوفيتية الايرانية فى سبتمبر سنة ١٩٤٤ حينما وصل كافتارادزى karteradze

أحد نواب الادارات الحكومية السوفيتية مندوبا من قبل وزارة الخارجية فى موسكو للتفاوض فى شأن عقد اتفاق بشأن استغلال زيت البترول فى شمالى ايران ، وكانت شركات البترول الامريكية والبريطانية قد ابدت اهتماما كبيرا بالحصول على امتيازات خارج نطاق شركة البترول الانجليزية الايرانية. وبعد ان انتشرت اشاعات كثيرة فى الاسواق أعلنت الحكومة الايرانية فى ١٦ من أكتوبر انها لن تمنح أية امتيازات. وقد أثار هذا الاعلان عاصفة من الاحتجاجات واللوم من جانب صحف حزب تودة ضد الحكومة ، وعقد الشيوعيون اجتماعات شعبية لحث الحكومة على منح امتياز لحكومة الاتحاد السوفيتى ، وبالرغم من الضغط من جانب السوفيت وأعضاء حزب تودة ، فقد أصدر المجلس قانونا بناء على اقتراح الدكتور مصدق ينص على الا تدخل أية وزارة فى مفاوضات أو تمنح أية امتيازات بشأن البترول للاجانب دون موافقة المجلس . وكان من نتيجة ذلك أن غادر كافتار ادزى ايران قائلا : ان هذا القانون يعد خطأ كبيرا وان العلاقات الايرانية السوفيتية سوف تتأثر نتيجة لهذا القانون . وقد اتبع السوفيت واتباعهم بعد هذه الصدمة بشأن امتيازات البترول سياسة اكثر عداء تجاه الغرب لانهم اتهموا الامريكيين والبريطانيين بالوقوف فى صف الحكومة الايرانية .

وفى يناير سنة ١٩٤٥ لم يعد لايران تلك الاهمية التى كانت لها فى أثناء الحرب فيما يختص بنقل المؤن الحربية ، ولذلك طالب الايرانيون بجلاء القوات الاجنبية عن أراضيهم . وأعلن الروس ان لهم حقا من الوجهة القانونية فى ابقاء القوات مدة ستة شهور عقب انتهاء الحرب مع المحور الذى يشمل اليابان . وانسحبت القوات الامريكية قبيل انتهاء العام ، فى حين أخذ الروس والبريطانيون فى سحب قواتهم فى كثير من التردد والتباطؤ . وعلى كل ففى الوقت الذى سلم فيه اليابانيون ظهرت مشكلة جديدة احتلت المناوين

الرئيسية فى صحف العالم(١) وهى مشكلة اقامة جمهورية اذربيجان ، وتفصيل الامر انه فى اغسطس سنة ١٩٤٥ احتل حزب تودة عدة مبان حكومية فى تبريز واصدر منشورات يطالب فيها بالحكم الذاتى فى اذربيجان وباستعمال اللغة الاذربيجانية التركية كلغة رسمية، واصلاح الاقتصاد الاقليمى ، ومنعت قوات الجيش الاحمر السوفيتى القوات الايرانية من الزحف الى تبريز لاخمـــاد الثورة . وكان فى استطاعة الثوار ان يســـتولوا على مقاليد الأمور فى ذلك الوقت ، ولكن الواضح ان الاتحاد السوفييتى لم يشأ ان يتدخل حينئذ . ثم أعيد تنظيم حزب تودة ، وسمى باسم الحزب الديمقراطى ، وبدأ يطالب من جديد بالحكم الذاتى ، وكان كل هذا يحدث تحت حماية القوات السوفيتية التى استمرت ترفض الســـماح بوجود قوات الحكومة المركزية فى الاقليم . وفى نوفمبر تولى الديمقراطيون زمام الامور واعلن المجلس الجديد فى ١٢ من ديسمبر مولد جمهـــورية اذربيجان المستقلة استقلالا ذاتيا واصبح جعفر بشاورى وهو أحد الشيوعيين الذين قضوا عدة سنوات فى الاتحاد السوفييتى رئيسا للوزراء ، وتكون على الاثر جيش الشعب الذى نظمه الروس .

وقد اشتكت ايران الى الامم المتحدة ضـــد تدخل روســـيا السوفييتية فى شئونها الداخلية ، واضـــافت الدول الغربية الى موضوع أزمة اذربيجان تردد الجيش الاحمر فى الجلاء عن ايران ، ولم يصل مؤتمر وزراء الخارجية للدول الثلاث الكبرى الذى انعقد فى موسكو سنة ١٩٤٥ الى نتائج خاصة بالجلاء عن ايران وبشأن تكوين لجنة تصفية فى مسألة اذربيجان ، وقرر مجلس الامن بعد مناقشات حامية ان يحيل الامر الى ايران والاتحاد السوفيتى لاجراء مفاوضات مباشرة بينهمـــا . وذهب رئيس وزراء جديد هو احمـــد

Iran, Richard N. Frye PP. 84-85. (1)

قوام السلطنة الى موسكو فى فبراير سنة ١٩٤٦ لعقد أتفاق مع روسيا ، ولكن حتى الثانى من مارس لم تجل القوات السوفيتية عن الاراضي الايرانية ، فاحتجرئيس الوزراء وعاد ادراجه الى ايران .

ولما كان الاتحاد السوفيتي قد نقض شروط معاهدة سنة ١٩٤٢ الخاصة بجلاء قواته عن ايران خلال ستة أشهر من انتهاء الحرب مع المحور ، أصبح الروس عرضة للهجوم فى الامم المتحدة وامام الراى العالمى . ولكى يحصل « قوام » على انسحاب الجيش الاحمر، منح الروس ثلاثة امتيازات ، فقد وافق على تكوين شركة سوفيتية ايرانية لاستغلال منابع البترول فى شمالى ايران يمتلك السوفييت ٥١ ٪ من اسهمها ، ثم أصدر تعليمات الى مندوب ايران فى الامم المتحدة لكى يسحب شكوى ايران ضد الاتحاد السوفييتى وكان أن رفض المندوب أن ينفذ هذه التعليمات وأخيرا أعطى حزب تودة ثلاثة مقاعد فى وزارته .

وقد وعد«قوام» كذلك بالدخول فى مفاوضات مع الديمقراطيين فى آذربيجان لكى يضمنحقوقهم ويعترف بهم بصفتهمحكومة شرعية محلية . . . وكان من نتيجة هذا ان تم اخيرا ، اجلاء الجيش الاحمر عن ايران فى مايو سنة١٩٤٦وكان يبدو حينئذ ان الاتحاد السوفيتى سيظل سيد الموقف .

وكان من المقرر ان يتم انتخاب مجلس جديد للتصديق على الاتفاقات التى أبرمها « قوام » مع السوفييت ، وكان يبدو أن مصير ايران هو الوقوع فى احضان روسيا وبخاصة لوجود اعضاء من حزب تودة فى وزارة قوام ، ونظم حزب تودة المظاهرات فى مناطق البترول وفى عبدان ، وقد تسببت هذه المظاهرات فى ازدياد عدد القوات البريطانية فىالبصرة ، ولكن ثورة القبائل فىالجنوب والتى كانت تتزعمها قبائل الكاشكاى هى التى رجحت كفة الغرب ،

وطالب زعماء القبائل رئيس الوزراء بطرد الشيوعيين من الوزارة فأذعن قوام لهذا الطلب فى ٢٧ من أكتوبر .

ثم جاءت بعد ذلك مسألة الانتخابات ، واصر قوام على ان يكون للحكومة المركزية الحق فى الاشراف على الانتخابات حتى فى آذربيجان .. واصبح الروس فى حيرة من أمرهم : هــل يؤيدون الديمقراطية فى اذربيجان ؟ أو يؤيدون أحمــد قوام الذى وعدهم بامتيازات البترول ؟ أما قوام فانه من ناحيته أمر القوات المركزية بالزحف على آذربيجان ، وانهــارت حكومة الثورة حينما ســقطت تبريز فى ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، ثم القى القبض على أعضاء حزب تودة فى جميع انحاء ايران .

وكان الاتحاد السوفيتى لا يزال يطمع فى استبقاء نفوذه عن طريق التصــديق على اتفــاق البترول ، ولكن البرلـــان الجــديد (الخامس عشر) الذى افتتح فى منتصف أغسطس لم يكن فى عجلة من امره ، وشدد الســفير الامريكى الجديد « جورج الن » من عزم المقاومة الايرانية فى قبول الاتفاق باعلانه عن تأييد أمريكا لحرية ايران فى قبول أو رفض الاتفاق على حسب فوائده وقيمته بالنسبة لايران .

وفى ٢٢ من أكتوبر سنة ١٩٤٧ رفض المجلس اتفاق البترول الذى ابرمه قوام ، وفقد الاتحاد السوفيتى ايران التى اصبحت فى الحال هدفا للمؤامرات الشيوعية ومسرحا للانقسام بين دعاة الغرب ودعاة الشرق .

قصة البترول فى ايران (مشكلة التأميم) :

تتكون كلمــة بتــرول (Petroleum) فى الاصــل من كلمتين يونانيتين همـــا Petro أى الصــخر ، Cleum ومعناها الزيت

ويذهب الخبراء الى أن اصل البترول اتحاد عنصرين وهما الايدروجين والكربون ، وتتفاوت الحالة التى يوجد عليها ، فيكون اما صلبا او سائلا أو على هيئة الغاز .

وكانت نقطة التحول التى جعلت البترول سيد الصناعات بلا منازع هو انتشار الآلة القائمة على الشرارة الكهربية وتوليد الحرارة والحركة بوساطة الاحتراق الداخلى منذ عام ١٩١٠ واستخدامها على نطاق واسع فى الصناعات والمواصلات .

وفى ايران ، كانت ينابيع البترول تنساب خلال الصخور منذ ظهور الانسان الاول على سطح الهضبة الايرانية ، ومن المحتمل أن البترول أو الغاز المنساب من القيعان المحملة بالزيت قد اشتعلت بفعل البرق ، واصبحت هدفا للاعجاب والعبادة ، وبعد ذلك بكثير ، حينما أصبح كتاب زرادشت المقدس الديانة الرسمية للاكمينيين ، أنشئت كثير من البيوت التى تشتمل على شعلة دائمة فوق منابع الزيت أو بالقرب منها ، ولا تزال اطلال واحد من هذه الآثار — وهو مسجد سليمان — ترى فى وسط الحقول المنتجة للبترول .

وكما راينا ، تعاقب على عرش الاكاسرة اباطرة بين النابه والخامل ، ومن لا يهتم بمصالح الشعب أو يعيرها أية عناية ، فهوى نجم ايران وضعف شأنها فى الميدان الدولى ، وانطوى الشعب على نفسه لا يدرى من أمر العالم الخارجى الكثير أو القليل .

وفى أواخر القرن التاسع عشر ترامى الى سمع مغامر استرالى يدعى وليام دارسي (William Darsey) عن امكان استخراج البترول فى ايران ، فوصل اليها فى سنة ١٩٠١ وقد استهواه ما قد تحتويه تربة ايران من البترول .

ونقب دارسي بهمة عن البترول ، وصادف العقبات والاعتداءات فى قفار ايران وفيافيها ، وبنى سكة حديد ضيقة ، وحصل فى عام

١٩٠١على حق التنقيب واستثمار البترول فى جوف أرض الاكاسرة برمتها نظير دفع ضريبة سنوية قدرها ٢٠٠٠٠ فرنك من الذهب وكذلك ١٦ ٪ من ربح البترول لمدة ستين سنة ، ولم يكن صاحب الامتياز وطيد الامل فى العثور على ضالته الى أن دله بعض السائحين على وجود البترول بجوار الخليج العربى ، فشرع ينقب فى المنطقة ، وانبثق النفط منها بقوة .

غير أن هذا المغامر الاسترالى لم ينعم بما عثر عليه ، اذ كانت المخابرات الانجليزية تعمل من ناحيتها كى تستحوذ بريطانيا وحدها ببترول ايران لتنفيذ أغراضها الاستعمارية والعسكرية لمصلحة الأسطول البريطانى اقوى أساطيل العالم حين ذاك . وهكذا تأسست الشركة الانجليزية الفارسية للبترول براسمال قدره ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه استرلينى وضمت اليها شركة بورما للبترول ، كما استحوذت على مجهودات دارسي المغامر الاسترالى ... وهكذا لعبت بريطانيا أولى ادوارها المرسومة فى ايران ، وأصبح بترول ايران بين يدى الامبراطورية البريطانية وطوع اطماعها الاستعمارية .

وزاد رأسمال الشركة الى ٤٧٩٩٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٤ ثم الى ١٣٥٢٤٠٠٠ جنيه سنة ١٩٣٥ ، وبدات الشركة تمتد بنفوذها وقوة مالها وتنشيء المستودعات والمخازن ومعامل التكرير ، واصبحت من أهم احتكارات البترول فى العالم ، مما أثار حفيظة الاتحاد السوفيتى الذى ما فتيء يجدد محاولاته لاستعادة نفوذه كعهد القيصرية فى ايران ، ويدافع عن طريق الوصول الى بتروله فى باكو وباطوم ، مما أثار أيضا اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية التى وجدت الصفقة رابحة ، وان ايران لم تعد فى نظر رجل الاعمال الامريكى مجرد بلاد سياحية ساحرة بتاريخها وشعرها وطبيعتها .

وفى اواخر سنة ١٩٢٨ ، دارت المفاوضات بين حكومة ايران والشركة البريطانية للوصول الى اتفاق ، ولكن تحطمت المفاوضات لان الشركة أبت أن تجيب الحكومة الى غرضها من حيث تعديل شروط الامتياز بما يتفق مع وجهة النظر الايرانية .

وفى اواخر عام ١٩٣١ استؤنفت المباحثات على نطاق اضيق اذ كان الغرض من التفاهم على الطريقة التى يتم بها حساب أرباح الشركة ونصيب الحكومة منها ، وانتهت المفاوضات بالوصول الى اتفاق قبله الطرفان فى ٢٩ من مايو سنة ١٩٣٢ .

ولكن فجأة تحطمت الآمال . . . اذ انه فى يوم ٣ من يونية سنة ١٩٣٢ قدرت حصةالحكومة الايرانية ، فاذا بها مبلغ ٣٠٦٨٧٢ جنيها ، فكان ذلك التقدير صدمة أذهلت الحكومة حين شاهدت نصيبها يهبط الى هذا الحد التافه اذا قيس بما كان عليه قبلا اذ كان ١٤٣٧٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩٣٩ ، ١٢٨٧٣١٢ جنيها فى سنة ١٩٣٠ .

وقد أصبح الموقف اذن فى غاية الحرج ، ولا بد من ايجاد مخرج منه فطلبت الحكومة من الشركة أيضا أن تعيد مراجعة الامر ، ويبدو أن صبرها قد نفد ، فبعثت فى ٢٢ من نوفمبر سنة ١٩٣٢ إنذارا الى الشركة تعلن فيه الغاء الامتياز اعتبارا من ذلك التاريخ .

وجاء فى بيان الحكومة عن هذا الموضوع ، ان الهدف من هذا القرار هو حماية المصالح الايرانية ، واضاف البيان ، انه اذا كانت شركة الزيت الانجليزية الايرانية على استعداد لان تصون المصالح الايرانية بالطريقة التى تتفق مع وجهة نظر الحكومة الايرانية على أساس من النزاهة والعدالة ومع تقديم الضمانات اللازمة التى تكفل صيانة تلك المصالح ، فان الحكومة من ناحية المبدأ لا تجد لديها ما يحول دون منح الشركة المذكورة امتيازا جديدا . واحسنت

ايران اختيار الوقت المناسب لهذا القرار الجرىء فسنة ١٩٣٢ تمثل أشد فترات الازمة الاقتصادية العالمية سوءا ، وما ترتب على ذلك من اضطراب أحوال العالم الرأسمالى فالموقف فى اوربا مضطرب فالنازية قد عظم شأنها وأصبح وصولها الى مقاليد السلطة مسألة وقت . وفى ٢ من فبراير سنة ١٩٣٢ اجتمع المؤتمر الدولى للنظر فى مشكلة التسليح وللبحث فى الوسائل المؤدية الى خفضه ، ولكن ما لبث أن بدأ التباين بين وجهات نظر الدول المشتركة فيه ، ووضحت روح الشك المتبادل ، وصار فشل المؤتمر أمرا محققا ولا مناص منه ... هذه الظروف الدولية التى اجملناها كانت عاملا شجع ايران على موقف التصلب ازاء الشركة ثم ما كان منها من محاولة الغاء الامتياز أخيرا .

وقد ردت الشركة على الحكومة منكرة قانونية تصرفها ومشروعيته ، فكان الجواب ان القرار نهائى لا نكوص عنه ، وهنا أصبح لا مفر من انتقال الامر الى الميدان السياسي ، فأرسلت الحكومة البريطانية فى ٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٢ مذكرة شديدة اللهجة أعلنت فيها أنها تعد الغاء الامتياز خرقا للتعهدات الدولية ، ثم طالبت ايران بسحب الانذار فى الحال ، والا أصبحت فى حل من اتخاذ جميع الإجراءات المشروعة لحماية مصالح الشركة .

ورفضت الحكومة الايرانية المذكورة وردت ردا مفحما هددت بعده الحكومة البريطانية بمذكرة أخرى فى ٨ من ديسمبر ، وأعلنت فيها انه اذا ظلت الحكومة الايرانية ترفض سحب قرارها بالغاء الامتياز فى خلال أسبوع واحد من تاريخ وصول هذه المذكرة ، فلن يكون هناك امام الحكومة البريطانية سوى ان ترفع الأمر الى محكمة العدل الدولية الدائمة للنظر فى قانونية هذا العمل ، كما أرسلت الحكومة البريطانية أسطولا حربيا الى بندر عباس ليقوم بمظاهرة لارهاب الشاه دون جدوى . ومن ناحية أخرى اجابت حكومة الشاه

علىمذكرة الحكومة البريطانية منكرة اختصاصمحكمة العدل الدولية فى النظر فى هذا الامر ، واتهمت الحكومة البريطانية بأنها تعمد الى التهديد ، ثم صرحت بعزمها على احالة الخلاف الى مجلس عصبة الامم ، وكانت ايران قد اصبحت عضوا من اعضائها منذ عام ١٩٣٠ وجاء قرار العصبة موافقا للطرفين فقبلاه فى ٣٠ من مارس سنة ١٩٣٣ واقره المجلس الايرانى ، وصادق عليه الشاه فى شهر مايو من العام نفسه . (١)

وقد خفض الاتفاق الجديد مساحة الامتياز الى النصف ، فأصبح من حق الحكومة الايرانية ان تتصرف فى بقية المساحة كما تريد ، والغى حق الشركة فى احتكار مد أنابيب البترول الى الساحل الجنوبى ، كما نص على أن تعمل الشركة من جانبها على توسيع نطاق أعمالها فى منطقة امتيازها الجديد وان تبدأ عمليات استخراج البترول وتكريره فى كرمنشاه بالاضافة الى أعمالها فى خوزستان ، وفرض الاتفاق للحكومة الايرانية ضريبة مقدارها أربعة شلنات عنكلطن تبيعه الشركة سواء للاستهلاك المحلى أو الخارجى ، على الا تنقص حصة الحكومة منها عن ٧٥٠٠٠٠ جنيه فى السنة خلاف النسبة المئوية التى تحصلها عن أرباح الشركة ومقدارها ٢٠٪ ، كما حدد الاتفاق أجل امتياز الشركة بستين عاما قادمة تئول بعدها جميعممتلكاتها الى الحكومة الايرانية .

كما تناول الاتفاق شروط استخدام العمال الفنيين وغير الفنيين ، وسعر الاستهلاك المحلى للبترول ، ومدفوعات السنتين السابقتين ، وكانت كلها لمصلحة ايران ، الا أن الشركة كسبت

(١) يقول ريتشارد فراى في كتابه ايران صفحة ٧٦ ، ان العصبة لم تصدر قرارا في النزاع القائم بين حكومة ايران والشركة البريطانية ، بل توصل الطرفان الى اتفاق جديد قبلاصدار قرار العصبة ، وذلك لحاجة الشاه الى المال، ولرغبة الطرفين في الوصول الى تسوية سريعة .

مقابل هذا كله اعفاء وارداتها من الرسوم الجمركية ، وصادراتها البترولية من الضرائب وحقها فى الاحتفاظ بما تحت يدها من عملات أجنبية ، وبهــذا الاتفاق ، انتهى النزاع بين حكومة ايران وشركة البترول الانجليزية الايرانية ، وســارت الشركة فى طريق التقدم المطرد واتسع نطاق اعمالها ونجاحه خلال سنوات الحرب العالمية الثانية .

وفى مجال الصراع الدولى على بترول ايران ، لم يفت الولايات المتحدة الامريكية أن تستغل الموقف ، وقامت بمفاوضات فى طهران ، أدت الى منح بعض المؤســسات الامريكية فى عام ١٩٣٧ امتيــاز التنقيب عن البترول واستغلاله فى ثلث مساحة الدولة لمدة ستين سنة .

ونجحت السياستان الامريكية والانجليزية عقب الحرب العالمية الثانية فى تطويق الاتحاد الســوفيتى برغم اختلافهما على احتكار البترول فى ايران ، وتم هذا التطويق بنفوذهما فى ايران وتركيا واليونان والعــراق وقبرص وبالاشراف على شرايين البترول فى قناة السويس وانابيبه التى تصل الى شــاطىء البحر المتوسط ، وشجعت انجلترا والولايات المتحدة قيام صنيعتها اسرائيل للغرض نفسه ... الا ان استقلال مصر وتأميم قناة السويس واستقلال قبرص وقيــام ثورة العراق أدت الى احداث تغيــيرات كبيرة فى استراتيجية المنطقة .

ولكن ما هى الفترة التاريخية لقصة البترول فى ايران ؟

ان أهم فترة فى قصة البترول حدثت ، عندما تقدم الصفوف فى ايران أحد القادة الوطنيين المخلصين وهو الدكتور محمد مصدق ، وقد ظن خــيرا فى نوايا الولايات المتحــدة الامريكية ، ورأى فى الوقت نفسه ان الشركة الانجليزية فى بلاده تســتغل تربتها الى

اقصي حد على حساب الشعب الايرانى ، وقد رأى مصدق وجوب سد عجــز ميزانية الدولة من ثروتهــا القومية الاســاسية وهى البترول ... وخرج من ذلك بوجوب تأميم الذهب الاسود لمصلحة الشعب ، ووافق البرلمان على التأميم ، ورفع القرار الى الشاه . وابدت حكومة الولايات المتحدة قلقها بشأن أزمة البترول ، وبعث الرئيس ترومان ســنة ١٩٥١ برسائل الى الحــكومتين البريطانية والايرانية يحثهما علىحسم النزاع بما فيه مصلحةالطرفين . ووصل عدة مديرين لشركة البترول الانجليزية الايرانية الى طهران فى ١٢ من يونية لاجراء محادثات مع المسئولين الايرانيين ، ولكن هؤلاء كانوا يريدون اعترافا عاجلا بالتأميم ، وهو أمر لم يكن البريطانيون على استعداد للاعتراف به فى ذلك الوقت.وعاد وفد البترول البريطانى الى لندن فى ٢٢ من يونية فى حين طلبت الحكومة البريطانية من محكمة العدل الدولية بلاهاى اصدار قرار بمنع ايران من الاستيلاء على ممتلكات شركة البترول . وحينما اصدرت المحــكمة الدولية توصيتها بأنتسترد الشركة ممتلكاتها فىحين تظل الايرادات مجمدة فىالبنوك ، بعثت الحكومة الايرانية الى الاممالمتحدة تعلن انسحابها من محكمة العدل الدولية .

وفى ٢٧ من سبتمبر اســتولت القوات الايرانية على معمل التكرير فى عبدان وفى ٣ من أكتوبر رحل آخر الفنيين البريطانيين تاركين الأمر كله للايرانيين ... واغلقت الشركة ابوابها وقطعت حكومة طهران العلاقات الدبلوماسية مع حكومة لندن .

وفى ٢٢ من يولية افتت محكمة العدل بعدم اختصاصها فى النزاع القائم حول البترول والغت حكمها السابق باسترداد شركة البترول الانجليزية الايرانية لممتلكاتها . وهكذا أحرز مصدق نصرا آخر قوى مركزه فى الداخل .. ولكن ما الذى حدث لآبار البترول والمنشآت الضخمة هناك ؟

لقد استطاع المهندســـون الايرانيون على عكس ما تكهنت به شركةالبترول الانجليزية الايرانية ان يديروا العملياتالفنية المختلفة وامتلأت المستودعات بالبترول .

وهنا نشـــبت معركة ســـياسية حامية بين ايران والولايات المتحـــدة من وراء الســـتار ، وانجلترا التى ثارت ثائرتها بســـبب التأميم ، وبلغ التوتر أشـــده بين لندن وواشنطون فيما بين سنتى ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ ، فكل بلد للانجليز نفوذ فيه ، تحـــاول الولايات المتحدة على حســـب اتهام الدبلوماسية البريطانية لهـــذه انتزاع النفوذ منها .

الا ان الولايات المتحدة لم تساعد حكومة ايران فى تســـويق البترول المخزون أو تقديم المعونة لها لتحقيق التأميم عمليـــا وسد العجز فى ميزانية الدولة ، وقوطعالبترول الايرانى بضغط السياسة الانجليزية فى أسواق العالم .

وفى هذه الاثناء أصـــبح مصـــدق هو الشخصية السياسية الاولى فى ايران كرجل وطنى يقف فىوجه الدول الاجنبية ، كما انه يحاول استرجاع ثروات ايران اليها ، واراد هذا المصلح أن يحقق حكما دستوريا لايران ، فشكلت لجنة برلمانية فىمارس سنة ١٩٥٣ لدراسة اقتراح بتحديد سلطات الشاه حتى يملك ولا يحكم ، وقد ادى هذا الاقتراح بتغيير الدستور الى انقسام اعضاء المجلس الى معسكرين ، ولما رفضت العناصر الموالية للشـــاه حضور المجلس ، لم يتسن وجود عدد كاف منالاعضاء لسن مثل هذا التشريع فاقترح الدكتور مصدق اجراء استفتاء شعبى ، وتمخض هذا الاســـتفتاء الذى اجرى فى ٣ من اغسطس سنة ١٩٥٣ عن فوز مصدق بمائة ألف صوت فى مقابل ٦٨ صوتا ضده .

وهنا تفتقت قريحة الشاه فى اقالة الدكتور مصدق وتعيين

الجنرال فضل الله زاهدى رئيسا للوزراء ، الا ان مصدق رفض الاقالة وفشلت محاولة الجنرال زاهدى فى السيطرة على الموقف واختبأ لتوه ، بينما طار الشاه وزوجته الى بغداد ثم الى روما ... وهنا نادت الجماهير باعلان الجمهورية وحطمت تماثيل الشاه محمد رضا فى ايران ، الا انه فى صبيحة يوم ١٩ من اغسطس تحرك الجنرال زاهدى الى العاصمة بقواته ودباباته .

والقى القبض على الدكتور مصدق ، واعلن زاهدى الاحكام العرفية ، وعاد الشاه المذعور فى ٢٢ من اغسطس ، وتكونت وزارة جديدة برياسة زاهدى .

وهنا تدخلت الحكومات صاحبة المصلحة لتؤمن حكم الرجعية فى ايران ، فقدمت الحكومة الامريكية قرضا عاجلا قدره ٤٥ مليون دولار لكى تستطيع ايران تدعيم اقتصادها . وقد حكم على مصدق — بطل التأميم — بالحبس لمدة ثلاث سنوات (١) .

ولما استولى المحافظون على أعنة الحكم فى لندن ، عالج رئيسهم تشرشل الموقف بدهائه المعهود ، فلم يسع الى الغاء التأميم حتى لا يؤلب الشعب الايرانى عليه ، بل أشرك الشركة الانجليزية الايرانية بنصيب فى قلب التاميم ، وحولت السياسة الانجليزية نزاع البترول الى الميدان الدولى حتى لا تقف وحدها فى المستقبل اذا ما اصطدمت مع روسيا هناك ... وهكذا نشأ بايعاز من الحكومة الانجليزية احتكار دولى غربى جديد للبترول بالاشتراك مع الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ، وهولندا فى ايران وبهذه الوسيلة حققت السياسة الانجليزية أهدافها .

حقا لقد خسرت الحكومة الانجليزية قضيتها ضد ايران فى محكمة العدل الدولية سنة ١٩٥٢ فقد قضت هذه بأن الحكومة

(1) Iran, Richard N. Frye P. 100.

الانجليزية ليست طرفا فى الاحتكار والمحكمة غير مختصـــة بنظر الدعوى ، ولكنها نجحت فى القاء شـــباكها على ايران لتصبح فى نطاق الســـياسة الغربية وذلك بمساعدة الشـــاه الموالى لهـــذه السياسة .

وهنا نجد مدى الفرق بين رضـــا شاه الأب ومحمد رضـــا الابن ... ان رضا بهلوى فقد عرشه ، ونفى من بلاده لأنه الغى امتياز الشركة الانجليزية الايرانية للبترول ، أما ابنه محمـــد رضا الشـاه الحالى يتملق سادته المستعمرين ويرضيهم على حساب وطنه حتى يحفظوا له عرشه ، وهو يتمادى فى ذلك فيجاريهم حتى نهاية الشوط ، واذا كان اعترافه باسرائيل سيجلب عليه رضا سادته المستعمرين ، فانه جر عليه كره العرب والعـــالم الحر بل والايرانيين انفسهم .

الفصل السابع

الشاه وإسرائيل



ليس من قبيل المغالاة ، ولا من المجافاة للواقع ان ننظر اليوم الى الحكم القائم فى طهران على انه زائل لا محالة ، واعتباره فى حكم المنتهى ان عاجلا أو بعد حين ... بل حتى لو امهله الأجل فترة اخرى فأطال من فترة احتضاره لاية علة من العلل ، فمما لا ريب فيه انه فقد مكانته الدولية بصورة لا رجعة فيها الا بتغيير جذرى فى النظام القائم . فحكومة الشــاه الحالى تعتمد اعتمادا كبيرا فى تسيير دفة الامور على توجيهات اســتعمارية ، حتى انتهى بهــا الامر الى الاعتراف باسرائيل غير آبهة بما سيجره عليها ذلك من كره العالم الاســلامى بأسره فضــلا على كره الايرانيين انفســهم . قال افلاطون : مجانين اذا لم نستطع أن نفكر ، ومتعصبون اذا لم نرد ان نفكر ، وعبيد اذا لم نجرؤ أن نفكر ، فلندع هــؤلاء جانبا ولنحاول ان ندرس الموضوع دراسة نزيهة لنرى ان كان الشاه على حق أو لم يكن عند ما اعلن اعترافه باسرائيل .

ولكن قبل أن نصدر حكمنا على الشاه ينبغى أن نتساءل ... ما قصة اسرائيل ؟

للاجابة على هــذا الســؤال لا بد أن نرجع الى الوراء... الى عام ١٨٩٦ عندما أصدر الكاتب النمسوى اليهودى تيودور هرتزل كتــابه عن « الدولة اليهودية » فأثار من الحماسة والاهتمام فى أوساط اليهود مادفعهم فى العام التالى الى عقد مؤتمر عام لهم فى مدينة بال

بسويسرا لوضع القواعد الاساسية لسياسة الصهيونية فى تحقيق فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، ووسائلها التى تتلخص فى الاستيلاء على الارض أو السيطرة علي الصناعة بايفاد عمال الزراعة والصناعة اليها .

وفى أوائل القرن العشرين اتجه هرتزل الى السلطان عبد الحميد سلطان تركيا لينال موافقته على اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وكاد هرتزل ينجح فى مسعاه لولا رفض اليهود الانجليز للثمن الذى طلبه السلطان . واراد الانجليز تعويضهم عن هذا الفشل بمنحهم وطنا فى أوغندا ، ولكن انتهى بهم الامر الى رفض هذا العرض امام المؤتمر الصهيونى السابع فى عام ١٩٠٥ .

وعند ما قامت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، كان اليهود حيارى يفكرون الى أية ناحية يتجهون ، حتى اذا دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا ، اتجهوا الى تقوية صلاتهم بالحلفاء علهم ينالون منهم اذا ما انتهت الحرب بانتصارهم ما عز عليهم نواله من تركيا . ولكن اسكويث رئيس الوزارة البريطانية حين ذاك لم يكن ميالا الى تأييد الفكرة الصهيونية فأهمل مطالبهم واعرض عنها ، فقد كان يؤمن فى قرارة نفسه ان قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين انما هو وهم من الاوهام ... ولكن لويد جورج الذى تولى الوزارة بعده استجاب لآمال الصهيونية ، ودفعه الى ذلك عاملان آمن بهما تماما ، عامل سياسي وآخر استراتيجى فاما العامل السياسي فهو لاستمالة اليهود فى المانيا والنمسا لتأييد الحلفاء ، أما العامل الاستراتيجى وهو الأهم فى نظر لويد جورج فهو الانفراد بالسيطرة على فلسطين واتخاذ الصهيونية وسيلة لذلك، وكان عليه أن يتيقن أولا تأييد الصهيونية لقبول الحماية البريطانية على فلسطين ... وأدرك زعماء الصهيونية ما يهدف اليه رئيس

الحكومة البريطانية فتجاوبوا معه واكدوا للسير مارك سيكس الذى كلفه لويد مفاوضتهم بأنهم يعترضون اعتراضا تاما على اقامة ادارة دولية فى فلسطين ولو كانت من فرنسا وبريطانيا وحدهما . وانهم سيعملون من الآن فصاعدا على وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية اذا ايدتهم بريطانيا فى تحقيق امانيهم فى الوطن القومى .

وكانت الخطوة التالية ان تنال الصهيونية تأييد فرنسا دون ما تعرض لشكل الادارة المقبلة فى فلسطين ... وترددت فرنسا طويلا ثم قبلت أخيرا أن تصدر تصريحا فى مصلحة الصهيونية .

وفى يوم ٢ من نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور وزير الخارجية البريطانية فى صورة خطاب الى زعماء الصهيونية ... وجاء فى نص الخطاب « يسرنى كثيرا أن ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضا والارتياح الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وانها ستبذل خير مساعيها لتبسير الوصول الى هذه الغاية ، على انه يجب أن يفهم فهما صحيحا انه لن يسمح باجراء ما من شأنه ان يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية التى تقيم فى فلسطين أو تمس الحقوق والمزايا السياسية التى يتمتع بها اليهود فى البلاد الاخرى » .

وصدر وعد بلفور فى هذه الصيغة التى وافق عليها الصهيونيون وقد راعى أن يكون لليهود وطن قومى فى فلسطين لا أن تكون فلسطين وطنا قوميا لهم كما كانوا يطالبون أن تكون صيغة وعد بلفور ، فان بريطانيا لم تشأ ان تلزم نفسها بتعهد قد يسيء الى مصالحها فى فلسطين .

واذا كان صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ هو البداية النظرية لمشكلة فلسطين ، فان صدور قرار الانتداب البريطانى فى ابريل سنة ١٩٢٠ على فلسطين وموافقة عصبة الأمم عليه فى يوليه سنة ١٩٢٢ هو البداية الحقيقية والاخراج العملى لها .

وبرزت هذه المشكلة فى صورة نضال رهيب بين العرب الذين يدافعون عن تراثهم ومقدساتهم وبين اليهود المهاجرين . واتسم هذا النضال بقوة الدوافع الروحية والمادية للعرب . ولم يثر العرب فى فلسطين لسيئة من سيئات الانتداب البريطانى قدر ما ثاروا على توافد هذه الاعداد الهائلة من اليهود الى بلادهم ، فقد ظهر لهم جليا ان القصد منها هو تغليب اليهود على العرب بزيادة عدد النازحين الى فلسطين من اليهود حتى يفوق عددهم عدد العرب وتتم لهم السيطرة على البلاد بحكم كثرتهم العددية .

وعبر العرب عن قلقهم بصور مختلفة كالاحتجاجات والمظاهرات والمصادمات بينهم وبين اليهود ، الا ان سلطة الانتداب البريطانية استطاعت أن تقمع هذه الحركات الوطنية حتى كان عام ١٩٣٦ عندما قام أهل فلسطين عن بكرة ابيهم فى ثورة عارمة يحاربون الصهيونية وسلطة الانتداب معا .. وسرت فى البلاد العربية كلها موجة من الحماس الجارف لنصرة عرب فلسطين ومعونتهم ، وجاءت هـذه الثورة نتيجة عاملين اولهما اشتداد الهجرة اليهودية فى الاعوام الاخيرة ، وكانت هذه الهجرة قد خفت بعض الشيء فى اثناء وقوع الازمة المالية التى عمت العالم بين الحربين ، ولكنها عادت ترتفع بعد عام ١٩٣٣ عند ما اجتاح الاضطهاد النازى فى المانيا طوائف اليهود وحملهم على الهجرة ، فكانت فلسطين موئلهم الذى يفدون اليه . اما العامل الثانى فهو يأس العرب من العدالة البريطانية وتحيز حكومة الانتداب لليهود وفشل اللجان التى اقترحتها الحكومة البريطانية لتحقيق أسباب ثورات العرب والوصـول الى حـل يرضيهم ... واتحدت الاحزاب العربية فى هيئة واحدة برياسة الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين عرفت باسـم الهيئة العربية العليا ، ومن ثم بدات ثورة عارمة فى ١٨ من ابريل سنة ١٩٣٦ عمت كلها جهات فلسطين ، وتقدمت الهيئة العربية العليا بمطالبها الى

المندوب السامى البريطانى ، وتتلخص هذه المطالب فى وقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الاراضي لليهود وقيام حكومة ديمقراطية فى فلسطين .. ورفضت الهيئة وقف الثورة قبل اجابة هذه المطالب ، ولكن حكومة الانتداب التابعة لبريطانيا بدلا من ان تمنع الهجـرة اليهودية سمحت بقبول مهاجرين جدد أكثر من العدد المقرر .

واتخذت الثورة طابعا عنيفا حمل الحكومة البريطانية على التفكير فى أمرها ، فاعلنت عن تكوين لجنة برياسـة لورد بيل للتحقيق فى اسباب الثورة على ان يستجيب الثوار للهدوء ، ولكن الثورة اشتدت عنفا ... الى ان وقعت الثورة فى الفخ واستجابت بعد توسط ملكى العراق والملكة السعودية وأمير شرق الاردن ... فأبحرت اللجنة الى فلسطين فى ٥ من نوفمبر سنة ١٩٣٦ ، وفى اليوم نفسه أعلنت وزارة المستعمرات عنقبول مهاجرين يهود جدد خلال ستة أشهر قادمة بمعدل ١٨٥٠ مهاجرا كل شهر ، ومن ثم نادت الهيئة العربية العليا بمقاطعة اللجنة ، واستمرت فى موقفها الى أن وقعت فى الفخ الكبير الثانى عند ما استجابت لملكى العراق والملكة السعودية وأمير شرق الاردن فى الكف عن الثورة ومفاوضة اللجنة البريطانية ... وهكذا ساهم هؤلاء الملوك فى تثبيط ثورة عظمى كانت لو استمرت على ما هى عليه من العنف والعرامة لكان لمستقبل فلسطين العربية شأن آخر .

وعندما اشـــتعلت نيران الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وجه الانجليز همهم للحرب التى تواجههم ، وان كانوا لم ينسوا هدفهم فى تسليم فلسطين العربية لليهود ، وقدروا أنهم سيجعلون من اسرائيل تكأة لنفوذهـم المتداعى فى البلاد العربية ، ولا ريب ان العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ لأقوى دليل على التحالف الانجليزى الاسرائيلى ، وعلى اعتراف اسرائيل بالجميل البريطانى ، وهكذا نجد ان مسـئولية

بريطانيا كبيرة فى هذه الجريمة النكراء ، جريمة التسبب فى تشريد مليون عربى فلسطينى ، فقد كانت بريطانيا مدة ثلاثين عاما من عام ١٩١٨ الى عام ١٩٤٨ هى التى دبرت عملية توطين اليهــود واستيلائهم على موارد الثروة فى البلاد ، وهى فى النهاية التى امدتهم بالسلاح لمقاومة الدول العربية المحيطة .

وبعد انتهاء الانتداب البريطانى فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، قامت الادارة البريطانية بتسليم فلسطين لليهود الذين نادوا بقيام دولة اسرائيل ... وسرت فى البلاد العربية موجة من الحماس الجارف ، ودخلت الحرب فعلا ضد اسرائيل ، ولكن الموقف كان غريبا وشاذا ، فاسرائيل ما هى الا شرذمة من الآفاقين اليهود ، ومن جنسيات عدة ، ولكن وراءهم وقفت دول استعمارية كاملة القوة رأت فى بقاء اسرائيل بقاء لنفوذها فى المنطقة ، ومن ثم قدمت هذه الدول المساعدات بسخاء لاسرائيل ، هذا بجانب القيام بالضغط المتواصل على العرب ، أما العرب فكانوا حين ذاك فى حالة يرثى لها ، فكلهم خاضعون للحكومات الرجعية حتى ان القائد الاعلى للقوات العربية حين ذاك كان الملك عبد الله ملك شرق الاردن والمعروف بخياناته الكثيرة للعرب والعروبة ، هذا بالاضافة الى ان اركان حربه كان الجنرال جلوب الانجليزى ، وكأن الجميع لا يعرفون دور الانجليز فى قيام اسرائيل .

وانتهى الامر تلك النهاية المؤســفة ... انتهى بأن كان للاستعمار ما اراد ، وقامت دولة اسرائيل على حساب مليون عربى فلسطينى طردوا من بلادهم وشردوا فى المناطق المحيطة .

لقد ادركت بريطانيا قبل ان يدرك احد ان العرب على ابواب نهضة توشك أن تجمعهم صفا وتوحدهم غاية ، ثم قدرت ما وراء ذلك من شر يصيبها حين يؤدى الى ضياع ما تستغله فى المستعمرات

فى آسيا وافريقية ، فتنهار بذلك امبراطوريتها التى عاشت القرون على اشلاء ضحايا الاستعمار فى آسيا وافريقية ، قدرت بريطانيا كل هذا فدبرت أمرها لتعوق هذه النهضة وتصدع وحدة العرب لتشغلهم عنها بشيء من صنعها فرمتهم بهـذا السرطان اليهودى .

على أن وزر هذه الجريمة لا يقع على بريطانيا وحدها ، فلم تزل الولايات المتحدة الامريكية تبذل الجهد لاعانة اسرائيل بالمال والعتاد وهنا نتساءل ... أذلك لان امريكا صليبية بالمعنى المنحرف الذى تفهمه اوربا من كلمة الصليب ، وهو ضرورة البطش بالعرب مسلمين ومسيحيين لتكون الغلبة كاملة لاوربا وحلفائها على أهل الشرق ؟

تزعم أمريكا انها تؤيد الصهيونية لأن اليهود شعب مشرد غريب فى كل وطن يأوى اليه ، فأرادت أن تلم شعثه وتصنع له وطنا يلوذ به ويلجأ اليه ... فأين هذا المنطق الأمريكى ليعالج مشكلة مليون لاجىء عربى فلسطينى اقصتهم الصهيونية عن وطنهم ليستوطنه المشردون القدماء من يهود العالم ... اترى أمريكا ستبحث عن وطن صناعى آخر تلجئهم اليه ؟ فالى أين تطرد أهل ذلك الوطن الاصليين ؟

وتقدمت اسرائيل تطلب الاعتراف بها من العالم ، فاعترفت بها دول واقعة تحت النفوذ الاستعمارى ، ولم تعترف بها دول استظلت بالحق ولم يرضها هذا المنطق ، منطق طرد شعب باسره من بلاده واحلال المشردين مكانه .

واذلت اسرائيل نفسها فى طلب الصلح مع العرب دون

جدوى ، فالحصار الاقتصادى العربى المحيط باسرائيل كان له اثره الكبير فى الغلاء الفاحش فى اسرائيل والى النقص فى الطعام والمواد الضرورية للحياة ، والى القيود الكثيرة على الاستهلاك فى البلاد ، وتبعت هذه الحالة حالة تذمر خطيرة بين الوافدين الجدد من اليهود على اسرائيل وبين سكانها غير المتعصبين للصهيونية وهم كثيرون ، واتخذت هذه الحالة مظهرا يهدد بتقويض حلم الصهيونية كله ، فقد تفشت بينهم رغبة قوية فى العودة الى البلاد التى نزحوا منها ، وشرع بعضهم فعلا فى الرحيل مما ارغم حكومة اسرائيل على وضع قيود تحد من هجرة اليهود اليها ، ولا شك ان هذا القرار قد تطلب اصداره منها شجاعة ضخمة تحسد عليها .

وتلفتت اسرائيل ، فوجدت العرب متربصين بها من كل جانب ، فماذا تفعل ؟ انها لا يمكن ان تنقل تجارتها الى اوربا ... لان اوربا فى غير حاجة الى المصنوعات الاسرائيلية ، ومن جهة أخرى فان تكاليف الشحن ستكون باهظة لبعد المسافة ، مما يؤدى الى ارتفاع أسعار البضائع الاسرائيلية ... وهكذا استجابت بريطانيا — الدولة الأم الحنون بالنسبة لاسرائيل — مرة اخرى وقامت بالضغط على الحكومات الرجعية القسريبة لكى تعترف باسرائيل وان تقوم بالتبادل التجارى معها ...... وهكذا انقاد شاه ايران الخاضع لاوامر بريطانيا واعترف باسرائيل ...... الشاه الذى أراق ماء وجهه للاستعمار بعد أن حول ايران كلها الى سجن كبير حبس فيه الاحرار ، نعم اعترف الشاه باسرائيل متناسيا الصلات الوثيقة التى تربط العرب بالايرانيين منذ صدر الاسلام الاول ... وهكذا ساهم الشاه باعترافه باسرائيل فى تمكين اليهود من فلسطين وفى استقرارهم فيها ولو الى حين .

وبهذا وبعد أن درسنا هذا الموضوع هذه الدراسة الاكاديمية قد وضحت لنا الاجابة الصحيحة عن هذا السؤال دون ما تجن او افتراء .. وان حكم الشاه المتداعى لن يصمد طويلا لان الوعى الثورى لدى الشعب الايرانى قد بلغ درجة كبيرة من الفطنة والذكاء ولن يسمح الشعب لحاكم ان يستغله مهما طالت مدة حكمه ... ولكن ماذا سيكون مصير ايران ؟ ان الله وحده يعلم مصير هذا البلد ... الجذوة المتقدة تحت الرماد .



الفصل الثامن

إلى أين المصير



نعم ، ماذا سيكون مصير ايران ؟ هل ستبقى الى الأبد تحت حكم الرجعية المستغلة ؟ هل ستبقى تحت حكم الاقطاع المتحالف مع الاستعمار ؟ هل ستبقى تحت حكم المارقين المتحالفين مع اسرائيل ؟ لا والف لا ، فان تجارب التاريخ كثيرة وكلها تؤكد أن النصر دائما للشعوب وان النصر يكون دائما للحق .

ومما يدعو للدهشة انه كلما قام الشعب الايرانى بانتفاضة ثورية ضد حكم الشاه الفاسد ، لجأت سلطات طهران الى ترديد نغمة معادة تقول ان الجمهورية العربية المتحدة وراء الاضطرابات فى ايران . وهذا فى الواقع اتهام يبعث على السخرية والعجب ... ان حكومة الشاه تعجز فى اللحظات الحرجة عن اخفاء حقدها على ما تحرزه جهود الشعب العربى فى ميادين الانتاج والتصنيع والتقدم . وتتصور حكومة الشاه انها لتوطيد علاقاتها باسرائيل ستنتقم لنفسها من الشعب العربى ... ولكن ليس الشعب العربى نفسه هو الذى ندد بهذه العلاقات المشبوهة ، وانما الشعب الايرانى المكافح هو الذى ردد الهتافات ضد انشاء علاقات مع اسرائيل وطالب بقطع هذه العلاقات فورا .

ولكن ما جريرة الجمهورية العربية المتحدة فى حق حكومة الشاه ؟

جريرتها الوحيدة انها تصنع تجربة رائدة وتحرز التقدم فى ميدان تحقيق الحرية السياسية والحرية

الاجتماعية ، وجريدة الشعب العربى انه ثار ضد الاحلاف العسكرية ، وانه رفع لواء النضال المسلح ضد العدوان العسكرى وانه انهى عصر المغامرات الاستعمارية الى الابد ، وانه أمم القناة وأصدر قرارات يوليو الاشتراكية ، وأنه يبنى فى العام الواحد أكثر منمائتى مدرسة و ١٥٠ مصنعا وانه يجعل التعليم اجباريا للجميع ، وأنه يقطع خطوات هائلة مناضلة فى ميدان التقدم من أجل تحقيق مستقبل أفضل .

ولكن كيف يفعل الشعب العربى ذلك ، ويقدم للشعوب — ومنها شعب ايران — المثل والقدوة فيؤلب الشعب ضد الشاه وفساده المعروف ويجعله يحس بالتخلف الذى يعيش فى احضانه فيدفعه الى الثورة . ان الشعب العربى اذن — فى منطق الشاه — متهم باثارة المتاعب ضد الشاه وحكومته . وهذا منطق غريب . والاكثر منه غرابة ان الشاه يردده علنا وبدون استحياء او خجل . ويردد الشاه اتهاما آخر غريبا كل الغرابة ... انه يقول ان الذين يثورون ضده هم الاقطاعيون والمتخلفون عن العصر ، ولسنا ندرى هل يصدق أحد هذا المنطق ؟ وهل يثور اقطاعى ضد اقطاعى .. لماذا ؟ ان الشاه من أكبر الاقطاعيين فى العالم ، وهناك واحد من الاقطاعيين فى ايران يملك أراضي تزيد مساحتها على مساحة سويسرا كلها . فلا يمكن أن يصطدم اقطاعى باقطاعى لان المصالح واحدة . وما يزعمه الشاه من انه يطبق برنامجا للاصلاح الزراعى ، ما هو الا محاولة لتفادى الثورة ، فضلا على انه برنامج زائف لتخدير الشعب ليس الا .

ان الثورة الشعبية مستمرة ضد حكم الشاه ... والواقع ان ايران تمر الآن بالظروف التى مرت بها مصر ابان فترة حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ ، فكما أحرق القصر والاستعمار والرجعية القاهرة فى ذلك الحين لتبرير اعلان الاحكام العرفية وفرض حكومة

معينة على الشعب والزج بالآلاف من ابنائه فى السجون ، فان الشيء نفسه حدث فى طهران منذ أوائل يونيو سنة ١٩٦٣ ، وقد ادى الى النتائج التى ادى اليها حريق القاهرة

ان الشاه وحكومته يحاولان عرقلة سير التاريخ والوقوف فى وجه الشعب ولكن الشعب أكد خلال نضاله المستمر انه اقوى من كل القوى الرجعية والاستعمارية التى تحاول التصدى لارادته. ومهما حاول الشاه الصاق التهم بالآخرين ، فانه لن يستطيع تجنب النتيجة الحتمية التى تنتظره فانها حتمية التاريخ .

ويشرف الجمهورية العربية المتحدة ان يتهمها الشاه بانها وراء ثورة ايران ... واذا كان التقدم الذى تحرزه فى ميادين الانتاج والتصنيع تهمة فما احسنها تهمة .

وتفصيل الامر انه فى يوم ٥ من يونيو سنة ١٩٦٣ احترقت طهران ونزلت قوات الجيش والبوليس بالدبابات والمصفحات الى الشوارع ... وسقط مئات القتلى والجرحى برصاص الغدر ، وهتف الشعب الايرانى المكافح بسقوط الدكتاتورية وبقطع كل علاقة مع اسرائيل ، وصدرت التعليمات بسحق الثورة بلا شفقة ولا رحمة ، وتحولت طهران الى ساحة قتال ، فاغلقت المتاجر ودور الحكومة ورابطت القوات العسكرية فى الشوارع ، كما اصطفت قوات الجيش — المزودة بالمدافع الرشاشة — أمام قصر الشاه فى سبعة صفوف لحمايته ، وقطعت قوات اخرى جميع الطرق الرئيسية المؤدية الى القصر ودور الحكومة .

وفى وسط دوائر من القوات المسلحة ، اعلن الجنرال حسن بكروان مدير الامن — فى مؤتمر صحفى — ان الرئيس عبد الناصر مسئول عن هذه الثورة !! ثم اعلنت الحكومة الاحكام العرفية وانطلقت قواتها فى حركة اعتقالات واسعة .

وقد بدأت الاضطرابات التى وصفها المراقبون بانها اعنف مظاهرات معادية للشاه وحكومته منذ سقوط حكومة الدكتور محمد مصدق فى عام ١٩٥٣ على اثر القاء القبض على الزعيم الدينى روح الله خميتى ومساعده السـيد تقى فلسفى ونحو ٢٠ من اتباعهما .

وكانت سلطات البوليس قد اعلنت فى يوم ٥ من يونيو منع المظاهرات الدينية عقب الاشتباكات التى وقعت فى يوم ٤ من يونيو والقى القبض فيها على ١٣٠ من المتظاهرين ، ولكن نجمت مع بداية يوم ٥ من يونيو مظاهرات ضخمة فى شتى أنحاء العاصمة الايرانية تهتف الهتافات التى اصبحت محفوظة وهى « تسقط الديكتاتورية » و « تسقط اسرائيل » .

وقد عقد رؤساء الادارات الخاصة بشئون الامن اجتماعا طارئا ، وصرح شاهانجير تفضلى ، احد وزراء الدولة عقب الاجتماع بقوله : ان جميع تدابير الأمن الضرورية قد اتخذت . وصـدر الامر باطلاق النار على المتظاهرين ... واذا بالمظاهرات تتحول الى ثورة عارمة ، واشعلت الحرائق فى منطقة السوق فى قلب المدينة ، وهاجم الثوار مبنى وزارة الاقتصاد ودار الاذاعة ، وحطموا نوافذ وزارة الداخلية ، وحاولوا اشـعال النار فى دار جريدة « اطلاعات » الموالية للشاه .. وبدأ الضحايا يسقطون ، واذاعت المستشفيات ان أكثر من ٢٠ قتيلا سقطوا بعد ساعة واحدة من نشوب القتال ، وقال شاهد عيان ان عدة مئات من المتظاهرين قد قتلوا ، واستمرت المعركة ، واذاعت وكالات الانباء ان الثورة امتدت الى مدينة مشهد فى الشمال الشرقى من ايران .

وفى منطقة أخرى من طهران ، تحول موكب من مواكب الحداد الدينية التى تنظمها الشيعة فى شهر محرم الى اجتماع سياسي ،

وشارك فى الثورة ، وانضم اليه آلاف عدة من الناس واخـذوا يطوفون بشوارع طهران ويهتفون بسقوط الشـاه وحكومته . وهاجمتهم قوات البوليس المزودين بالقنابل المسيلة للدموع والمدافع الرشاشة والهراوات ، وقذف المتظاهرون سيارات البوليس بالحجارة ثم قلبوا سيارات الجيب التابعة للجيش وأشعلوا فيها النار .

وكان المتظاهرون الذين هاجموا دار الاذاعة قد تسـلحوا بالقنابل اليدوية والمسدسات ، وفتحت قوات البوليس عليهم نيران مدافعها الرشاشة وتمكنوا من صد المتظاهرين مرتين بعد أن اوشكوا فى كل مرة على الاستيلاء على دار الاذاعة .

وفى يوم ٦ من يونيو تجددت الاضطرابات العنيفة فى ايران وامتدت حتى شملت عددا كبيرا من المدن الهامة ، وفشلت قوات الجيش والبوليس فى وقف التيار الشعبى ، وقامت قوات الجيش بتطويق وسط العاصمة ، ولكن جماهير الشعب اقتحمت الحصار ، وحاولت اقتحام مبنى الاذاعة مرة ثالثة . وقامت قـوات الجيش والبوليس باطلاق النار على المتظاهرين فسقط عدد جديد من القتلى . ومن ناحية أخرى شددت القوات حراستها على مقر الشاه ومكتب اسد الله علم رئيس الوزراء ، ولكن الشاه وزوجته فرح ديبا وولديهما هربوا الى قصر سعد اباد الذى يبعد عشرة كيلومترات الى شمالى طهران ، وقد صرح الرسميون ان جميع افراد القصر الملكى انتقلوا ايضا الى سعد أباد فى ذلك اليوم .

وقالت صحيفة « اطلاعات » أن الشاه ظل يدير بنفسـه العمليات العسكرية ضد المظاهرات المناهضة لحكومته .

وبالرغم من الاحكام العسكرية وفرض حظر التجوال ، فقد خرجت جامعة طهران فى مظاهرة كبيرة تأييدا للزعماء الدينيين واحتجاجا على اراقة الدماء ، ورفع طلبة الهندسة لافتة فوق مبنى

الكلية كتب عليها « يسقط الدكتاتور المتعطش لسفك الدماء »[١٠]،
وسمعت طلقات المدافع الرشاشة فى جميع أنحاء العاصمة ، فى حين
قامت قوات الجيش باخلاء منطقة السوق واغلقت مكاتب الحكومة ،
وقامت قوات المظلات بتفتيش المدينة كلها لاعتقال قادة الثورة .

وقد دمرت كثير من المحال فى السوق تماما ، وظهرت ثقوب
الرصاص فى أبواب المحال المغلقة ، ووقفت ثلاث وعشرون دبابة
ثقيلة لحراسة مقر قيادة البوليس ووزارة الخارجية ، وارسلت
تعزيزات لحراسة مبنى البريد فى الميدان العام فعززت بسبع
دبابات ثقيلة اضافية وعدد من سيارات الجيب المزودة بالمدافع
الرشاشة ، كما شددت الحراسة على وزارتى الداخلية والصحة
التى ظهرت فيهما آثار طلقات الاعيرة النارية .

كما أعلن سلاح الطيران ان احد ضباطه قد قتل فى الاضطرابات
التى وقعت فى طهران ، وكان هذا هو أول بيان تذيعه الحكومة
عن مقتل احد رجالها .

وقد اضطر الشاه الى تغيير جهاز نجير تفضلى وزير الدولة
المسئول عن محطة الاذاعة ، التى كانت موضع هجوم المتظاهرين
لثلاثة أيام متتالية ، وقد كانت الاذاعة تذيع بيانات متناقضة عن
زعماء ورجال الدين ، كما اوقفت الآذان للصلاة .

وكان علماء الدين قد اصدروا منشورا يدعو الى الجهاد
والحرب المقدسة ضد نظام حكم الشاه ، وقال البوليس انه يوالى
البحث عن الزعيم الدينى الذى وقع المنشور وهو آية الله محمد
بهبهانى لتقديمه الى المحاكمة مع نحو ١٥٠ زعيما دينيا . وقد اعلن
اسد الله علم ، رئيس الوزراء ان ١٥ من كبار الزعماء المسلمين
سيقدمون الى المحاكمة . واشارت الانباء الى ان المتظاهرين فى
مدينة « قوم » المقدسة الواقعة جنوبى طهران — وهم من انصار

الزعيم الدينى روح الله خميتى المعتقل الآن فى طهـران ـــ دعوا الشعب الى مقاومة قوات الحكومة والجهاد ضـد رجال الجيش والبوليس الموالين للشاه .

وفى ٨ من يونيو تجددت الاضطرابات بشكل عنيف فى خمس مناطق متفرقة من طهران ، وكانت الحكومة قد اعلنت انها سحقت الثورة ، ولكن المظاهرات تفجرت مرة أخرى فى انحاء العاصـمة الايرانية ، واصطدمت الجماهير الغاضبة بالقوات المسلحة . وهرع اصحاب المحال التجارية وهم فى حالة رعب الى اغلاق الابواب الحديدية لمحالهم ، ويدل استئناف اطلاق النار فى شوارع المدينة فى يوم ٨ من يونيو على ان عدد القتلى والمصابين فى ازدياد مستمر . وقد قدرت صحيفة « كيهان » عدد الضحايا فى المظاهرات ضـد الشاه بالمئات وان عدد المصابين يبلغ ضعف عدد القتلى .

وكانت اعنف المظاهرات ، تلك التى وقعت فى جامعة طهران، وقد قامت صفوف قوات البوليس المزودة بالهراوات بضرب الطلبة وتفريق المظاهرات ... وتقرر اغلاق جامعة طهران برغم ان الطلبة كانوا يستعدون للامتحانات

وفى يوم ٩ من يونيو ندد اسد الله علم رئيس الوزراء بدولة اجنبية لم يذكر اسمها ، وقال ان هذه الدولة هى التى سببت الاضطرابات الاخيرة فى ايران ... كما جـاء فى جريدة لوموند الفرنسية Le Monde الصادرة فى يوم ٧ من يونيو سنة ١٩٦٣ مقالة باســم « ايران .. او الجذوة القابلة للانفجار »

« لعل الحكومة قد القت على الاجنبى بمسئولية المظاهرات والاشتباكات لتخفى صعابها الداخلية ، اذ ذكرت فى بيان غـير واضح ولكن لا التباس فيه اسم الرئيس عبد الناصر كمسئول عن هذه المظاهرات » .

نعم كما قلنا ، ان الرئيس عبد الناصر والشعب العربى فى مصر قد آمن بالاشتراكية ، وآمن بالديمقراطية ، وآمن بالعـزة والكرامة ، وقد تبلورت الايديولوجية الجديدة فى الجمهورية العربية المتحدة عن نتائج بعيدة المدى ، فنحن نؤمن بتذويب الفوارق بين الطبقات سلميا وفى اطار من الوحدة الوطنية ، وفى هذا ما فيه من تطبيق لمبدأ تكافؤ الفرص للجميع ، فالله قد جعل مبدأ تكافؤ الفرص اساسا للحياة فى الدنيا واساسا للحساب فى الآخرة ولا ريب أن الثورات التى قامت فى العراق واليمن وسورية وافريقية وآسيا ، كل هذه الثورات انما هى امتداد للثورة المصرية العظمى فى يولية سنة ١٩٥٢ ومن هنا كانت مسئولية الرئيس عبد الناصر عن ثورات ايران فالشعب الايرانى كما قلنا يتطلع الى حياة أفضل، فوجد النظام المثالى فى الجمهورية العربية المتحدة فاراد ان يقتبس منه ، اراد أن يقتبس الحرية بأوسع معانيها .. الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، فان الديمقراطية بدون الاشتراكية انما هى وهم من الاوهام ، والاشتراكية مع الديمقراطية هما جناحا الحرية التى تستطيع بها أن تحلق الى الآفاق العالية التى تتطلع اليهـا جماهير الشعب .

وتستمر جريدة لوموند فى المقالة نفسـها قائلة « بيد أن المشكلات الداخلية وتعارض المصالح والشقاق السياسي والبؤس الاجتماعى المتعذر القضاء عليه والرجعية والتخلف اللذين يبقى عليهما بحرص أنصار الوضع الراهن ... كل هذه العوامل تكفى تماما لتفسر حالة الغليان هناك » .

ومن المتعذر هنا ان نرى كيف يتمكن الشاه من الحصول على مساعدة الجبهة القومية ، اذا لم يوافق على مطالبهم الخاصة باجراء انتخابات حرة واقامة حكومة شعبية منتخبة تتمتع بسلطة حقيقية

وقطع كل العلاقات بجميع صورها مع اسرائيل ، ان لم يظهر بالتأكيد ما يدل على رغبة فى التخلى عن المبدأ الديجولى الخاص باستمداد سلطته من الشعب مباشرة .

وعلى اية حال ، فان ايام الشاه اصبحت معدودة ، فانصياعه للاستعمار وتنكيله بالوطنيين ، وتحويل ايران الى سجن كبير ، قد افقد ثقة الشعب الايرانى فيه . ويتطلع هذا الشعب المكافح الآن والأمل يحدوه فى ان يهب الله له بطلا يتقدم الصفوف ، ويقوده من الهزيمة الى النصر ومن اليأس الى الامل ومن العدم الى الحياة، قائد يرفع الشعب ولا يرتفع على راسه ، يتكلم ولا يخاف ، ويقود الشعب الايرانى الصديق الى حياة العزة والكرامة ... ويبدل المجتمع الايرانى من مجتمع السادة والعبيد الى المجتمع الديموقراطى الاشتراكى التعاونى .

تحليل حركة الملاحة فى القناة

خلال شهر يونية سنة ١٩٦٣

الحركة الملاحية :

زاد عدد السفن التى عبرت القناة خلال يونية ١٩٦٣ على تلك العابرة خلال نفس الشهر من عام ١٩٦٢ بمقدار ٧٢ سفينة أى بنسبة ٧ر٤٪ . فقد بلغ عدد السفن العابرة خلال يونية الحالى ١٦٠٧ سفن مجموع حمولتها الصافية ١٧٩٢١٧٠٠ طن بمتوسط يومى قدره ٦ر٥٣ سفينة مقابل ١٥٣٥ سفينة حمولتها الصافية ١٦٢٧٤٧٧٠ طنا بمتوسط يومى قدره ٢ر٥١ سفينة فى يونية ١٩٦٢ .

وقد عبرت القناة من الشمال الى الجنوب خلال يونية الحالى ٨٠٠ سفينة مقابل ٧٤٠ سفينة فى يونية الماضى بزيادة قدرها ٦٠ سفينة ، وذلك لزيادة عدد السفن الفارغة بمقدار ٢٤ سفينة (٣٧٩ مقابل ٣٥٥) والسفن المحملة بمقدار ٣٦ سفينة (٤٢١ مقابل ٣٨٥)

أما السفن العابرة من الجنوب الى الشمال فقد بلغت ٨٠٧ مقابل ٧٩٥ بزيادة قدرها ١٢ سفينة ، ويرجع ذلك الى زيادة عدد السفن الفارغة بمقدار ٤ سفن (٤٣ مقابل ٣٩) والسفن المحملة بمقدار ٨ سفن (٧٦٤ مقابل ٧٥٦) .

الحمولة الصافية :

سجلت الحمولة الصافية للسفن العابرة بقناة السويس خلال يونية ١٩٦٣ زيادة قدرها ١٦٤٧٠٠٠ طن أى بنسبة ١ر١٠٪ وذلك بمقارنتها بحمولة يونية ١٩٦٢ ، حيث بلغ مجموعها خلال الشهر الحالى ١٧٩٢٢٠٠٠ طن مقابل ١٦٢٧٥٠٠٠ طن فى يونية الماضى .

وبتقسيم الحمولة الصافية طبقا لاتجاهى العبور يتضح انها قد زادت بالنسبة للسفن العابرة جنوبا بمقدار ١١١٢٠٠٠ طن أى بنسبة ٢ر١٤٪ (٨٩٥٢٠٠٠ طن فى الشهر الحالى مقابل ٧٨٤٠٠٠٠ فى يونية الماضى) وذلك نتيجة لارتفاع الحمولة الصافية لجميع أنواع السفن عدا سفن البريد .

كما زادت بالنسبة للسفن المتجهة شمالا بمقدار ٥٣٥٠٠٠ طن أى بنسبة ٣ر٦٪ (٨٩٧٠٠٠٠ طن مقابل ٨٤٣٥٠٠٠ طن) ويرجع هذا الى ارتفاع الحمولة الصافية للناقلات المحملة .

وقد ارتفع المتوسط اليومى للحمولة الصافية من ٥٤٣٠٠٠ طن فى ١٩٦٢ الى ٥٩٧٠٠٠ طن فى يونية ١٩٦٣ .

وبتحليل الزيادة المسجلة فى الحمولة الصافية للسفن التى عبرت القناة خلال الشهر الحالى بين السفن المحملة والفارغة والحربية مقارنة بمثيلاتها فى يونية ١٩٦٢ يتضح الآتى :

السفن المحملة	+ ٦٧٢٠٠٠ طن
السفن الفارغة	+ ٩٦٠٠٠٠ طن
السفن الحربية	+ ١٥٠٠٠ طن
المجموع	+ ١٦٤٧٠٠٠ طن

حركة الناقلات العابرة خلال شهر يونية ١٩٦٣

سجلت الناقلات العابرة خلال شهر يونية ١٩٦٣ زيادة عددية على تلك العابرة فى يونية ١٩٦٢ بمقدار ٥٨ ناقلة أى بنسبة ٧ر٥٪ ، حيث بلغ عدد ناقلات الشهر الحالى (٨٢٨ ناقلة مقابل ٧٧٠ ناقلة) فى يونية الماضى .

وبتقسيم الناقلات عدديا حسب اتجاه العبور يتضح أنه قد عبرت القناة من الشمال الى الجنوب ٤٠١ ناقلة مقابل ٣٦٩ بزيادة قدرهـا ٣٢ ناقلة ، يرجع هذا الى ارتفاع عدد الناقلات الفارغة بمقدار ٢٥ ناقلة (٣٦٢ ناقلة مقابل ٣٣٧ ناقلة) والناقلات المحملة بمقدار ٧ ناقلات (٣٩ ناقلة مقابل ٣٢ ناقلة) .

وبالنسبة للناقلات المتجهة شمالا فقد زاد عددها بمقدار ٢٦ ناقلة (٤٢٧ ناقلة مقابل ٤٠١) وذلك نتيجة لارتفاع عدد الناقلات المحملة بمقدار ٢٥ ناقلة (٤١٤ ناقلة مقابل ٣٨٩ ناقلة) أما الناقلات الفارغة فزادت بمقدار ناقلة واحدة (١٣ ناقلة مقابل ١٢ ناقلة) .

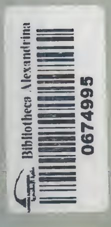
وزادت الحمولة الصافية للناقلات العابرة فى يونية الحالى بمقدار ١٥٨٠٠٠٠ طن اى بنسبة ٦ر١٣٪ حيث بلغت خلال الشهر الحالى ١٣١٨٠٠٠٠ طن مقابل ١١٦٠٠٠٠٠ فى يونية ١٩٦٢ وتمثل الحمولة الصافية للناقلات نسبة قدرها ٧٤٪ من مجموع الحمولة الصافية لسفن العابرة خلال يونية من العام الحالى بينما كانت هذه النسبة ٧١٪ فى يونية من العام الماضى . وقد ارتفع متوسط الحمولة الصافية للناقلة من ١٥٠٦٥ طنا فى يونية ١٩٦٢ الى ١٥٩١٨ طنا فى ١٩٦٣ .

كما بلغ متوسط كميات المواد البترولية المنقولة على كل ناقلة محملة ٢٨١٤٩ طنا فى يونية الحالى مقابل ٢٦٨٣٥ طنا فى الماضى .

فهرس

الدار القومية للطباعة والنشر
فرع الساحل







الدار القومية للطباعة والنشر

العـــدد ٣٤٣
الثمن ٥ قروش